التنوير

تصدر عن مؤسسة رسالة السلام

مجلة شهرية تصدر عن مؤسسة رسالة السلام العالمية، موريتانيا، نواكشوط،
وتوزع في جميع أنحاء العالم. تصريح رقم ٢٠١٨/٢٠ - العدد الثالث والعشرون - سبتمبر ٢٠٢٢

المدير الناشر

حي معاوية حسن

رئيس التحرير

د. أحمد الحافظ

المدير الفني

أحمد بلال

المحررون

د. شكري ميموني

د. محمد الرباني

م. عدنان الرفاعي

إسماعيل الرباني

العنوان

شارع المختار ولد داده - قرب فندق موريستانتر

ص ب 6664 - هاتف: 0022245240956

البريد الالكتروني: altenwir2020@gmail.com

كلمة التحرير

عزيز القارئ:

إن مقاصد الآية القرآنية التي تتحدث عن قوامة الرجال على النساء، أن يتحمل الرجل مسؤولية القوامة للأسرة برعاية الزوجة والعناية بالأولاد، وتحقيق الحياة الكريمة للأسرة بالإنفاق من ماله لتأمين السكن المناسب ومتطلبات الحياة من المأكل والرعاية للأبناء من تعليم وعلاج، والمحافظة على أمنهم وحمايتهم.

ويحذر المقال الافتتاحي للمفكر الأستاذ علي الشرفاء، من أن تحيُّز الرجال بتفسير خاطئ لمصلحة الذكور تخدم أنانيتهم واستبدادهم وتكشف عن نفوس مريضة خدعت الناس بتلك التفسيرات المُغرضة، طالما أن الرجال ملكوا زمام التفسير والفتوى في الإسلام منذ مئات السنين وأهملوا حق المرأة من المشاركة معهم في تفسير آيات القرآن، ليتحقق التوازن بينهما والمساواة في الحقوق ومن أجل استمرار العلاقة الطيبة بين الزوجين لبناء الفرد الصالح الذي يساهم في تطور الوطن والمحافظة على أمنه وسلامته.

نتمنى أن تقضوا وقتًا مفيدًا وطيبًا مع موضوعات هذا العدد

أسرة التحرير

اقرأ في هذا العدد

- العدالة الإلهية في العلاقات الزوجية
- دعوة رئاسية للحوار حول أولويات العمل الوطني
- «رسالة الإسلام تعاون وسلام»... ندوة فكرية في الرباط
- «الإخوان» كهنة معبد الخراب

نور على نور

العدالة الإلهية في العلاقات الزوجية

المفكر العربي الأستاذ

علي محمد الشرفاء الحمادي

قال الله سبحانه وتعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١). كيف تتوافق الرحمة مع ضرب الزوجة؟! وقال الله أيضًا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (التغابن: ١٤).

وقال الله سبحانه: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: ١٢٨).

وقال الله سبحانه: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ...) (النساء: ٣٤)

التفضيل لا يعني التشريف، وإنما مقاصد الآية (التكليف) والقوامة وتحميل الرجل مسؤولية الرعاية للأسرة بما ينفقه من ماله لتأمين السكن الملائم، وتكاليف المعيشة ومتطلبات الزوجة والأولاد من علاج وكسوة وتلبية متطلبات الأبناء من تعليم وتوجيه لتربيتهم تربية صالحة. واستكمالًا للآية الكريمة قول الله سبحانه: (...وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) (النساء: ٣٤-٣٥)

فقد شرع الله سبحانه في الآية (١٢٨) من سورة النساء إذا خافت الزوجة من نشوز الزوج أو الإعراض عنها والامتناع عن أداء واجبات العلاقة الزوجية؛ فالله سبحانه يأمر كلا الزوجين في حالة نشوز من أي منهما اتباع طريق الصُلح كما وصفه الله بالصلح خير.

لذلك واستنتاجًا من الآية (٣٤-٣٥)، والآية (١٢٨) من سورة النساء؛ فالله يدعو الزوجين في حالة النشوز من أي طرف إلى اتخاذ سبيل الصُلح لتعود العلاقة الحميمة الطبيعية بين الزوجين وتستقر الأسرة في أمن وسلام بعيدًا عن المشاحنات والنكد والتلاسُن، مما يؤدي إلى اهتزاز الاستقرار النفسي للأطفال وتأثيره على الصحة النفسية لهم، وما قد تشكّله من نتائج سلبية في سلوكيات الأبناء ومستقبلهم من إخفاقات وفشل في دراستهم وحياتهم.

ولذلك فالتعامل مع الزوجة في حالة نشوزها بالضرب لا يمكن أن يتم تفسيره بالضرب المادي بأي وسيلة كانت، وقول الله سبحانه: (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ)،

فسر الفقهاء (واضربوهن) تفسيرًا قاسيًا بالضرب المادي لا يتفق مع دعوة الله للزوجين في الآيات المذكورة أعلاه باتخاذ طريق الصُلح بينهما أفضل السُبل لعودة العلاقة الطيبة بين الزوجين، إضافة إلى ما جعل الله بين الزوجين من مودة ورحمة.

ولو تدبَّر المفسرون بمقارنة الآيات التي تدعو للصلح بين الزوجين وبالعفو والصفح والغفران للزوجة، كما جاء في سورة التغابن (١٤) أعلاه، فلا يستقيم معنى (واضربوهن) كما فسّره الفقهاء بالضرب المادي، إنما المقصود للمعنى الحقيقي لكلمة (واضربوهن) أنها تعني (واضربوا عنهن)، هو أن يضرب الزوج عن مباشرة العلاقة الزوجية، أي الامتناع عن قيامه بواجبه في المعاشرة الزوجية دون أن يترك فراشه

ومضجعه.

أما معنى كلمة (واهجروهن) تعني أن يترك الزوج مضجعه أو فراشه إلى مكان آخر يبيت فيه بعيدًا عن فراش الزوجية إلى أن يُصلحا أمرهما، أو يتوسط بينهما أفراد الأسرتين ليسعوا في الإصلاح بينهما حماية لاستمرار العلاقة الطيبة بينهما من أجل رعاية الأطفال وتربيتهما تربية صالحة.

أما كلمة (الضرب)، فنجد القرآن الكريم عرض أمثلة في كثير من الآيات باستخدام كلمة (ضرب) في عدة مواقف ومنها ما يلي:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبدًا مَملوكًا لا يَقدِرُ عَلى شَيءٍ) (النحل: ٧٥).

(أَلَم تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) (إبراهيم: ٢٤).

(وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِما ضَرَبَ لِلرَّحمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا) (الزخرف: ١٧).

(إِنَّ اللَّهَ لا يَستَحيي أَن يَضرِبَ مَثَلًا مّا بَعوضَةً فَما فَوقَها) (البقرة: ٢٦)

(كَذٰلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالباطِلَ) (الرعد: ١٧)

(وَيَضرِبُ اللَّهُ الأَمثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ) (إبراهيم: ٢٥)

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَريَةً كانَت آمِنَةً مُطمَئِنَّةً يَأتيها رِزقُها رَغَدًا) (النحل: ١١٢)

(وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) (النور: ٣١)

(وَلَقَد ضَرَبنا لِلنّاسِ في هٰذَا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ) (الزمر: ٢٧)

تلك بعض الاستخدامات في الآيات القرآنية لكلمة (ضرب ومشتقاتها)، توضح عدة معانٍ في كل حالة.

فلماذا لا يتخذها المفسرون والفقهاء مرجعية لإعادة النظر في تفسير كلمة (واضربوهن) لاستنباط معنى يحقق المصالحة بين الزوجين ولا يزيد الأمور بينهما تعقيدًا في الحياة الزوجية؟!

حيث أنه إذا استخدم الزوج معنى (الضرب المادي) بأي وسيلة كانت وما سيترتب على ذلك من رد فعل عنيف من قِبل الزوجة، وقد يتطور الأمر إلى استخدام آلات حادة بينهما قد تودي بأحدهما إلى ما لا يُحمد عُقباه، سيجعل المشكلة بينهما أكثر استفحالًا، في الوقت الذي فتح الله للزوج أبوابًا متعددة في التشريع الإلهي في القرآن الكريم من استخدام العفو والرحمة والغفران والصبر، كما قال الله سبحانه:

(وَأَن تَصبِروا خَيرٌ لَّكُم وَاللَّهُ غَفورٌ رَّحيمٌ) (النساء: ٢٥)، وقول الله سبحانه:

(وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثلُها فَمَن عَفا وَأَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ) (الشورى: ٤٠)، وقول الله سبحانه:

(وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِن عَزمِ الأُمورِ) (الشورى: ٤٣).

فالله تعالى في تلك الآيات أعطى الزوج حق الاختيار في اتباع الأمر الإلهي في معاملة الزوجة بالعفو أو بالغفران وإصلاح العلاقة بينهما، مما يساعد ذلك السلوك الراقي والمعاملة الحسنة للزوجة من قِبل الزوج الحفاظ على استمرار العلاقة الطيبة بين الزوجين وحماية الأسرة من التفكك لرعاية الأطفال بتربيتهم تربية صالحة.

وفي نفس الوقت اقتضت عدالة الله المُطلَقة مساواة الزوجين في التعامل مع أي منهما في حالة خوف الزوجة من نشوز زوجها أو نشوز الزوجة؛ فقد أوصاهما الله باتباع سبيل الصُلح بينهما ولا ميزة لأي منهما على الآخر.

وأن ما تعنيه كلمة (واضربوهن)، حيث أن الامتناع عن مباشرة العلاقة الزوجية يترك أثرًا نفسيًا على الزوجة، لتعيد النظر في موقفها من الزوج، لتتحقق المصالحة ويعود الوئام بينهما حفاظًا على استمرار الأسرة لرعاية الأطفال لما يحقق لهم الاستقرار الهدف السامي لحماية الأسرة، والذي يعلو فوق كل تفاسير الفقهاء التي تتخذ طريق القسوة وتتفاعل مع اعتداد الرجل في فهم خاطئ في تفسير معنى كلمة (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ)، التي ظن المفسرون بأن الله ميَّز الرجل على المرأة، وما أدركوا مقاصد الآية الكريمة في قول الله سبحانه:

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)، .سورة النساء: ٣٤ [

حيث أن مقاصد الآية الكريمة هي أن يتحمل الرجل مسؤولية القوامة للأسرة برعاية الزوجة والعناية بالأولاد، ومسؤولية الرجل عن حماية أهله وأبنائه بتحقيق الحياة الكريمة للأسرة بالإنفاق من ماله لتأمين السكن المناسب ومتطلبات الحياة من المأكل والرعاية للأبناء من تعليم وعلاج، والمحافظة على أمنهم وحمايتهم.

فما ذكرته الآية الكريمة ليس معناه رئاسة أو سيادة أو الحاكم الأوحد في

• القوامة تعني تحميل الرجل مسؤولية رعاية الأسرة بما ينفقه من ماله لتأمين السكن الملائم وتكاليف المعيشة ومتطلبات الزوجة والأولاد

أسرته، إنما هي مسؤولية تجاه أسرته كلَّفه الله بها لحمايتها ورعايتها وتأمين حاجتها؛ فالآية أكدت أن كلمة (قوَّامون) تكليفًا وليس تشريفًا ليتعالى على زوجته ويتعامل معها كالعبدة يستخدمها كما يشاء دون أن يكون لها حقوق أو كرامة، والتي كرَّمها الله في القرآن بعشرات الآيات التي يؤكد التشريع الإلهي بها كيفية المحافظة على حقوق المرأة.

وأن تحيُّز الرجال بتفسير خاطئ لمصلحة المفسرين الذكور تخدم أنانيتهم واستبدادهم وتكشف عن نفوس مريضة بهوس السلطة والتسلط، فليس من المستغرب عليهم أن يخدعوا الناس بتلك التفسيرات المُغرضة، طالما أن الرجال ملكوا زمام التفسير والفتوى في الإسلام منذ مئات السنين وأهملوا حق المرأة من المشاركة معهم في تفسير آيات القرآن الكريم، ليتحقق التوازن بينهما والمساواة في الحقوق ومن أجل استمرار العلاقة الطيبة بين الزوجين لاستكمال مسيرة الحياة الزوجية وتأثيرها على المجتمع من نتائج إيجابية لبناء الفرد الصالح الذي يساهم في تطور الوطن والمحافظة على أمنه وسلامته.

حتى لا يتحول سلوك الأبناء إلى سلوك شاذ، وقد ينحرفون إلى طريق الضلال في حالة الانقسامات الأسرية وما يعيشونه مع والديهم من نكد وخلافات يومية وضرب للزوجة على أتفه الأسباب، ليمارس الرجال سلطتهم ورجولتهم على ضعف الزوجة وانكسارها وفقًا للمفاهيم البالية ما قبل الإسلام وما يترتب على ذلك التصرُّف الجائر من الزوج من تأثيرات على سلوكيات الأطفال، وما قد يصيبهم من الأمراض النفسية التي تؤثر على سلوكياتهم في المجتمع ويتجهون إلى طريق الانحراف، واستقطابهم من قوى الشر لاستغلالهم في الإضرار بالمجتمع وتهديدهم للأمن الاجتماعي وسلامته.

لذلك على كل من يسعى لمعرفة المعنى الحقيقي لكلمة (واضربوهن) يتطلب التدبُّر في أهداف التشريع الإلهي ومقاصد آياته، واستدعاء الآيات في الكتاب المبين التي تدعو الناس إلى تحقيق المصالحة والتسامح والعفو والدفع بالتي هي أحسن، ليصل الباحث إلى حقيقة أهداف رسالة الإسلام في تحقيق السعادة للناس، ووأد الفتنة بالمودة والرحمة وليس بالعداوة والقسوة.

وقد وضع الله سبحانه قاعدة تشريعية تحقق السعادة للزوجين والتكامل بينهما بميزان لا يطغى أي منهما على الآخر في قوله سبحانه مخاطبا الزوجين كليهما فيما يلي: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم (٢١)،

والمقصد من هذا التوجيه الإلهي للزوجين بأن بأن كل منهما عليه أن يعلم بأن الله موجهًا أمره له وليس ما تم تفسيره خطأ على مدى أربعة عشر قرنا (بأن الله خلق الزوجة لتكون سكنا للزوج) وذلك الفهم يتناقض مع العدل الإلهي المطلق الذي تعني مقاصد الآية الكريمة ليكون كل منهما سكنًا للآخر، وتأكيدًا لذلك قال الله سبحانه: (مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ ما كانوا يَعمَلونَ) النحل (٩٧)،

يبين الله سبحانه للناس شريعته في المساواة بين الذكر والأنثى وكلاهما خلقهما الله من نفس واحدة، فلا يتفق مع المنطق عادات الأقدمين قبل الإسلام باستصغار الذكور للأنثى واستباحة حقوقها واعتبارها أن الله سبحانه خلقها لخدمة الذكر مستمدة من الشرائع والعادات اليهودية والمسيحية، وذلك الموقف يتعارض كلية مع الشريعة الإلهية التي تؤسس علاقة الذكر والأنثى على المساواة وتنظيم العلاقة بينهما وتحديد مسؤولية كل من الزوج والزوجة في بناء السرة لاستمرار الحياة الطيبة بينهما على أسس الشريعة الإلهية التي يضاف إليها المودة والرحمة والمعاملة الحسنة بينهما.

حيث حدد الله سبحانه مسؤولية الزوج رعاية الأسرة المكونة من الزوجة والأبناء وتأمين سكنهم ورعايتهم في التعليم والصحة والسكن والمعيشة، وكلف الزوجة بمسؤولية

• الله تعالى يدعو الزوجين في حالة النشوز من أي طرف إلى اتخاذ سبيل الصُلح لتعود العلاقة الحميمة الطبيعية بينهما في أمن وسلام

رعاية المنزل وتربية الأبناء والسهر على راحتهم والعناية بالزوج وكل من الزوجين يؤدي واجبه بالأمانة والمودة والرحمة ويبقى المعروف بينهما يحمي العلاقة الزوجية ليتحق الاستقرار للأسرة لتبني المواطن الصالح ليعم السلام في المجتمع كله فإذا صلح الفرد صلح المجتمع. وليتبع المسلمون ما يبيّن لهم القرآن الكريم من صفات الله سبحانه في قول الله:

(وَاستَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي رَحيمٌ وَدودٌ) (هود: ٩٠)، وقوله سبحانه:

(إِنَّ رَبّي غَفورٌ رَحيمٌ) (يوسف: ٥٣)،

فهو سبحانه الرحيم الودود، وهو سبحانه الغفور الرحيم واللطيف الخبير، والله سبحانه يكرر دعوته في القرآن للناس بالارتقاء بسلوكياتهم لتتحول إلى سلوك المؤمنين كما ذكرها الله في الذكر الحكيم مبينًا المنهاج الإلهي في التعامل بين الأهل والأقرباء والناس جميعًا باللطف والمودة بالعفو والدفع بالتي هي أحسن والكاظمين الغيظ بالكلمة الطيبة بالرحمة وبالعدل والانصاف بالاحسان والتعاون على البر وعدم التعاون على الإثم والعدوان... تلك هي بعض صفات الرسول عليه السلام.

والله أمر المسلمين باتخاذ الرسول الأمين قدوة لهم والتأسي بسلوكه وأخلاقه ورحمته وتعامله مع كل الناس بالكلمة الطيبة، ولذلك قال الله سبحانه موجهًا أمره المقدس للناس:

(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب (٢١)،

ولذلك أمر الله رسوله عليه السلام بأن يدعو الناس لاتباعه في دعوته لهم بالآيات القرآنية واتباع أخلاقه وسلوكياته ليحبهم الله ويرضى عنهم، كما نطق الرسول الكريم به عن ربه بقوله:

(قل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آل عمران (٣١)،

وبذلك يصبح الإنسان مسلمًا حقًا متمسكًا بكتاب الله ومطبقًا شرعته ومنهاجه في الحياة الدنيا لينال يوم القيامة جزاءه جنات النعيم.

فإذا اتبع الإنسان واقتدى بالصفات الإلهية وصفات المؤمنين التي طبقها الرسول الأمين في حياته واتخذها الإنسان سبيلًا في تعامله مع زوجته وأبنائه، نورًا يهديه إلى طريق السعادة والسلام الذي يحقق المودة والرحمة في العلاقة الزوجية والتفكر والتدبر في آيات القرآن ومعرفة مقاصد الآيات وما يقتضيه مراد الله للناس من تحقيق حياة طيبة لهم وعيش كريم في ظل الأمان والطمأنينة والمعروف بين الزوجين ولا فتحوا الباب للشيطان لينشر الفتنة ويحول البيت الآمن إلى جحيم بلا من النعيم والسر في منع الشيطان من الدخول للبيوت اتباع قول الله سبحانه مخاطبا رسوله عليه السلام بقوله:

(وَقُل لِعِبادي يَقولُوا الَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ بَينَهُم إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلإِنسانِ عَدُوًّا مُبينًا) الاسراء (٥٣)،

وهذه الآية تبين للناس السلاح الوحيد الذي يهزم الشيطان قبل أن ينفث سمومه بين الزوجين أو حتى بين الناس.

فالله يدعو الناس جميعًا لاتباع منهاجه في كتابه المبين بالرحمة قبل القصاص، والعفو قبل الحكم، والحسنة قبل السيئة، والكلمة الطيبة قبل الكلمة النابية، لأن المنهاج الرباني في القرآن الكريم يستهدف تحقيق السلام بكل شموليته في حياة الأسرة وفي المجتمع، ونشر السلام بين الناس جميعًا ليعيشوا حياة لا يُنغّصها نكد ولا حسد ولا حقد ولا كراهية، بل مودة ووئام وتعاون وسلام، لتستمر العلاقة الزوجية المبنية على المودة والرحمة، تؤدي واجبها تجاه المجتمع الذي تعيشه والوطن الذي يحتضن أسرتها، تقدم له مواطنين صالحين يساهمون في تقدمه وتطوره للارتقاء بالحياة الكريمة لكل أفراده.

إن المنهاج الرباني والتشريع الإلهي والقيم الأخلاقية النبيلة تستهدف صياغة شخصية الإنسان بالأخلاق القرآنية وصفات المؤمنين والتشريعات الإلهية لبناء المواطن الصالح، ليكون لبنة صالحة لبناء المجتمع الإنساني المُتحضِّر الذي يساهم في تحقيق حياة كريمة لكل أفراد المجتمع، ينشر السلام لتتنزل عليهم البركات على الدوام.

• الله سبحانه يبين للناس شريعته في المساواة بين الذكر والأنثى وكلاهما خلقهما الله من نفس واحدة

ملف العدد

دعوة رئاسية للقوى السياسية للحوار حول أولويات العمل الوطني

رحبت القوى السياسية المصرية بدعوة الرئيس عبد الفتاح السيسي للحوار السياسي الوطنى نحو مناقشة أولويات العمل الوطني، والذي يجمع كافة القوى السياسية بمختلف أيدلوجيات الحوار حول أولويات العمل الوطني في المرحلة المقبلة، ليسطر صفحة جديدة في تاريخ العمل السياسي، ويرى الحزب في هذه الخطوة تقريب لرؤى ووجهات نظر القوى السياسية في استكمال مؤسسات الدولة المنتخبة، وتوفيق الأوضاع الدستورية المصرية، ووضع ثوابت لحوار وطني دائم هدفه الأوحد إعلاء مصلحة الوطن.

في هذا الملف نستعرض آراء عدد من المفكرين والإعلاميين وأصحاب الرأي حول أولويات العمل الوطني، والتي نشرت خلال الفترة الماضية عبر العديد من وسائل الإعلام.

د. مصطفى الفقي: الحوار الوطنى .. الضرورة والتوقيت

لا يختلف اثنان على أن الحياة السوية تقوم على منطق الحوار الذى يعتمد على)الديالوج) اختلافًا عن الأنظمة الفردية التى تركن للرأى الواحد بمفهوم (المونولوج) حيث لا يسمع فيها صانع القرار إلا بما يريد ولا يصل إليه إلى ما يشعره دائمًا بأن الأحوال سخاء رخاء ولا توجد مشكلات ولا أزمات، وقد أحسن الرئيس عبد الفتاح السيسى صنعًا عندما دعا إلى حوارٍ بين القوى السياسية والأحزاب المتعددة والفئات المختلفة من خلال شرائح الأعمار فى التركيب السكانى للوصول إلى مستوى يليق بدولة عريقة مثل مصر، وفى ظنى أن أهمية هذه الدعوة تكمن فى أمرين أولهما الضرورة وثانيهما التوقيت، ولكن الأمر الذى لا نختلف عليه جميعًا هو أن الدعوة إلى الحوار تعنى انفراجة سياسية وانفتاحًا على القوى الموجودة ورغبة أكيدة فى تداول الرأى والرأى الآخر، وهى أمور افتقدتها دولٌ كثيرة فى مراحل تطورها خصوصًا بعض دول الشرق الأوسط والقارة الإفريقية، أما عن الضرورة فمبررها أن الدول تدرك فى لحظات معينة حاجتها الماسة إلى تداول الآراء وتدوير الأفكار.

إن ذلك يعنى بالضرورة رفض احتكار الصواب ويفترض أن المواطنة الكاملة تعطى حقوقًا متساوية للجميع فى ظل مراكز قانونية معترفًا بها، وقد يقول قائل ولماذا الحوار إذا كانت البرلمانات قائمة والأحزاب موجودة؟ وهو قول مردود عليه لأن الحوار يفتح بابًا واسعًا لكافة القوى السياسية والتيارات السائدة حتى المهمشة منها والتى لم تتمتع بقدرٍ كافٍ من حرية الرأى ومساحة التعبير من خلال تمثيل نيابى محدود، ولا يقف الأمر عند ذلك إذ إن الضرورة تعنى أيضًا القراءة الهادئة للمشهد العام التى تستوجب إعادة النظر فى بعض القضايا وتمحيص عدد من المشكلات والتصدى لبعض الأزمات، وإذا كان البرلمان المصرى الحالى - وهذه شهادة حق - أفضل من سابقه فإن ذلك يعنى أن الطريق مفتوح أمام عجلة التطور وتوسيع دائرة المشاركة السياسية وفتح النوافذ أمام التيارات الجديدة، خصوصًا تلك المرتبطة بالأجيال الوافدة على أرض الوطن، فإذا كانت التجربة النيابية قد أحرزت بعض النجاح فى العامين الأخيرين فإن المنظومة الحزبية فى مجملها لا تبدو على المستوى الذى تنتظره دولة كمصر لديها حزب يمتد عمره لأكثر من مائة عام وأعنى به حزب الوفد على سبيل المثال، إذ أن الأحزاب الصغيرة التى تكاثرت على الساحة دون ترتيب واضح أو استئذانٍ شعبى قد تحولت هى الأخرى إلى مظاهرة عابرة لا تترك أثرًا على الساحة السياسية، ولذلك تفسيرٌ واضح مؤداه أن الدولة البرلمانية تحتاج إلى وجود منظومة حزبية قوية، بينما الدول التى لا تأخذ بالنظام البرلمانى لا تعتمد بالضرورة على تركيبة حزبية قوية وتكون النتيجة كما نراها فى كثير من البلاد حولنا، بل إن خاطرى يذهب بعيدًا إلى سنوات عملى فى الهند وكيف كان البرلمان بمجلسيه (الراجا صابها واللوك صابها) يمارس

● الرئيس السيسى أحسن صنعًا عندما دعا إلى حوارٍ بين القوى السياسية والأحزاب والفئات المختلفة

دورًا فاعلاً فى القرار السياسى قد يغنى عن الحوار المطلوب فى الفترات المفصلية فى تاريخ تلك الدولة، وإذا انتقلنا إلى البعد الثانى وأعنى به مسألة التوقيت فإذا سلمنا كما أسلفنا بضرورة الحوار فإنه يتعين علينا أن نتلمس طريقنا نحو العوامل المرتبطة بتوقيت ذلك الحوار، بدءًا من الظروف الاقتصادية الناجمة عن أسباب داخلية أوخارجية والتى أدت إلى ارتفاع تكاليف المعيشة وزيادة الأسعار مع توقعات محتملة بندرة بعض السلع لأسباب ترتبط- على سبيل المثال - بتطورات الحرب الروسية الأوكرانية، وإذا كان الجانب الاقتصادى يأخذ زمام المبادرة فى الحوار الوطنى القادم فذلك أمر طبيعى لأن الشعوب لا تقتات شعارات سياسية أو نشرات حزبية، ولكنها تعيش على الحقائق المتصلة بالحياة اليومية، بل إن الحكومات تأتى وتسقط فى دول الديمقراطيات العريقة لأسباب تتصل بالأوضاع الداخلية والحالة الاقتصادية قبل غيرها وتلك حقيقة ندركها جيدًا من استقراء الأحداث وتفسير الوقائع، ولاشك أن قضايا التعليم والصحة والإسكان والمرافق إلى جانب القفزة الكبرى فى البنية الأساسية والخدمات الفئوية تؤكد هى الأخرى أن التوقيت لازم وأنه يعنى بالضرورة أن المريض يشعر بمرضه ويحسن تشخيصه له ويسعى للعلاج منه.

..أردنا من التركيز على مفهوم الضرورة ومسألة التوقيت فيما يتصل بموضوع الحوار السياسى الوطنى القادم أن نؤكد أن ذلك هو الحوار الجاد الذى يحرك المياه الراكدة ويلقى بحجر فى دوامة الحياة اليومية للمصريين، وليس من شك فى أن الحوار فى حد ذاته هو تعبير عن عودة الروح والرغبة الكاملة فى الشراكة السياسية واستلهام الرأى الآخر والاستماع إليه مهما يكن مصدره مادام يعمل فى وضح النهار تحت مظلة الوطنية المصريةالتى نعتبرها الركيزة الأولى لبرنامج النهضة الذى اعتمدته مصر مع وصول النظام الحالى إلى السلطة إلى جانب رغبة دفينة فى الإفصاح عن آراء متباينة، سواء جاء ذلك على المستوى المصرى المحلى أو العربى القومى، أو ماهو خارج ذلك كله،

فلا وصاية على أجيال تتفتح مداركها، وتتبلور آراؤها، فى عصرٍ يبدو فيه كل شيءٍ متغيرًا، وتمضى أحداثه سراعًا على نحوٍ غير مسبوق.

زياد بهاء الدين

حرصًا على الحوار الوطنى المرتقب

حينما تلقيت دعوة من النقيب والصديق ضياء رشوان- بصفته المنسق العام للحوار الوطنى- للمشاركة فى الحوار المرتقب، لم أتردد فى قبولها، لأننى من حيث المبدأ أرحب بأى حوار يستهدف صالح الوطن ولا تكون له قيود مسبقة تصادر على الغرض منه.

وقد كان تقديرى أن الحوار، الذى دعا إليه السيد رئيس الجمهورية يوم ٢٦ إبريل، يجب أن يكون محل ترحيب ومشاركة، لأنه الفرصة الوحيدة المتاحة حاليًا لتحريك الوضع الراكد والمنغلق فى الساحة السياسية المصرية.

لذلك، ومن خلال متابعتى لما يُنشر عن الاستعدادات الجارية، وحرصًا على نجاح الحوار المرتقب، فأعرض الأفكار الأربع التالية:

الأولى ضرورة التعجيل ببدء الحوار، لأن تأخره الزائد سوف ينتقص من الحماس والمصداقية المطلوبين لنجاحه. ومع تقديرى للشرح الوافى الذى قدمه الصديق العزيز الأستاذ عماد حسين فى مقاله «هل الحوار الوطنى يسير ببطء؟»، («الشروق» الأحد الماضى)، والذى وضح فيه مراحل التحضير للحوار طوال الفترة الماضية، إلا أن الحقيقة تظل أن أكثر من ثلاثة أشهر ونصف مرت منذ الدعوة الأولى للسيد رئيس الجمهورية. وهذه إشارة غير مشجعة، وأتمنى تداركها ببدء جلسات الحوار الفعلى سريعًا كى يقتنع من يتابعونه أو يعلقون آمالًا عليه بجديته وفاعليته.

من جهة ثانية، وارتباطًا بما سبق، فإن الحوار يحتاج تنظيمًا وإدارة.. ولكن أخشى أن المبالغة فى الترتيبات سوف تؤدى إلى تكبيله بالإجراءات والقواعد، وأن يتفرع إلى لجان كثيرة ومتشعبة، وتتعقد أماناته وجلساته ومحاضره، فتغلبه البيروقراطية وتطغى على الغرض الأساسى المستهدف منه، وهو تشجيع حوار مفتوح بين القوى والتيارات السياسية حول مستقبل البلد. لا توجد وسيلة لواد أى حوار أفضل من إغراقه فى اللجان والاجتماعات والإجراءات.

أما من حيث المضمون، فقد كان تقديرى منذ البداية أن الغرض الأساسى من الحوار الوطنى هو فتح باب التشاور حول الوضع السياسى والقيود المحيطة به والمقترحات التى قد تؤدى لانفراجة فيه.

صحيح أن الدعوة كانت غير محددة أو مقصورة على الملف السياسى وحده.. ولكن الحقيقة أن هناك مساحات ومناسبات ولقاءات عديدة تجرى فيها مناقشة الأوضاع والملفات الاقتصادية والاجتماعية.. وغيرها، بينما الحوار السياسى هو المتوقف تمامًا أو المعطل منذ فترة ليست بالقصيرة، ولذلك فهو الأجدر بأن يكون محلًا لدعوة السيد رئيس الجمهورية، وأن تنعقد عليه الآمال والتطلعات لبداية جديدة.

ومرة أخرى، أحيل لمقال آخر للأستاذ عماد حسين بعنوان: «الحوار الوطنى يكتفى بالسياسة أم يتوسع؟» (الإثنين الماضى)، حيث شرح مبررات فتح باب

● الحوار الجاد يحرك المياه الراكدة ويلقى بحجر فى دوامة الحياة اليومية للمصريين

الحوار للقضايا الاقتصادية والاجتماعية، وذكر أن السبب الرئيسى هو اهتمام أكثر من ثلثى من استجابوا من الجمهور لدعوة إرسال مقترحات مسبقة لأجندة الحوار، كما أن الشأن الاقتصادى هو الأكثر إلحاحًا. وهذا رأى محترم، ولكن مناقشة التحديات الاقتصادية والأزمة العالمية لها فى تقديرى مجالات وساحات مختلفة. ومع ذلك فإن كان الأمر قد استقر على أن يكون الحوار شاملًا للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فأقترح على الأقل أن تكون الصدارة للملف السياسى، وأن تكون مخرجاته سريعة وفعالة ولا يتعطل بغيره من الملفات ذات الطبيعة الفنية.

وأخيرًا، فإن الحوار الوطنى المرتقب سوف يكتسب مصداقية، ليس فقط مما يُثار خلاله من نقاش مفتوح ومتنوع، وإنما لما سيفضى إليه من نتائج ملموسة. وأظن أن النتيجة الأولى التى يتوقعها الرأى العام الداخلى كما تتابعها الجهات الدولية هى الإفراج عن المحبوسين دون وجه حق. وهنا يلزم التنويه بمن أُفرج عنهم بالفعل منذ الدعوة الأولى للحوار، والأثر الإيجابى الذى صاحب الإعلان عن كل دفعة منهم. وهذه الإفراجات رفعت من مستوى التوقع والترقب للمزيد، والإسراع بتصفية أوضاع كل المحبوسين غير المتورطين فى عنف أو إرهاب أو جرائم أخرى. وأخشى أن تؤدى الوتيرة البطيئة وغير المنتظمة للإفراج عنهم إلى فتور الحماس للحوار بعد ان ارتفعت الآمال وساد التفاؤل بأن تغييرًا حقيقيًا على وشك الحدوث.

أرحب بالحوار الوطنى وبكل ما يستهدف تحقيق صالح الوطن، وما أقترحه هو حرص على نجاح الحوار المرتقب، آملًا ألا ينتهى إلى مجرد لقاءات واجتماعات بل يكون بداية لانفراجة حقيقية يحتاجها الوطن فى المجال السياسى أولًا، ثم فى غيره من المحاور والقضايا المصيرية.

شريف عامر:

الحوار الوطنى الذى تتمناه مصر

الإجراء القيم، الذى اتخذته الأكاديمية الوطنية للتدريب، بأن تكون أروقتها ساحة للحوار الوطنى الشامل المزمع عقده، هو إجراء - فى حد ذاته - يستحق الإشادة، فهو - فى اعتقادى - يمثل إعلاء لقيمة العلم والبحث الأكاديمى، وهو تأكيد على أن

أى إجراء لمستقبل هذا الوطن، لابد وأن يخضع للدراسة والبحث الدقيق.

مصر تتمنى حواراً وطنياً حقيقياً، تجرى أحداثه على أرض صلبة، مستمدة ذلك من كونها أقدم دولة بالمنطقة فى العصر الحديث، عرفت الحياة السياسية والنيابية ووضعت دساتير كانت محل فخر، أمام العالم.

ولعل ذلك ما أشار إليه السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى فى تكليفه من على مائدة الأسرة المصرية، لإدارة المؤتمر الوطنى للشباب بالتنسيق مع كل التيارات السياسية الحزبية والشبابية لإدارة حوار سياسى حول أولويات العمل الوطنى خلال المرحلة الراهنة، ورفع نتائج هذا الحوار إلى سيادته شخصيًا مع وعد بقيامه بحضور هذه الحوارات فى مراحلها النهائية

وشرح الرئيس بعض من ملامح الحوار وأهدافه، قائلاً إنه «فى حواره مع الإعلاميين تحدث فى موضوع الإصلاح السياسى مبديًا حرصه الشخصى على هذا الأمر، لكن الأولويات كانت مؤجلة فى هذا الموضوع، والآن أقول إننا نطلقه ونتيح الحوار والنقاش لكل القوى السياسية بدون استثناء أو تمييز».

وحدد السيد الرئيس أنه سيتم عرض مخرجات هذا الحوار على البرلمان ومجلس الشيوخ، لكى يكون الإقرار أو القوانين المطلوبة أو المزيد من النقاش فيه، خاصة أن هناك حاجة إلى هذا الحوار الوطنى الآن، مع إطلاق الجمهورية الجديدة ليكون ضمن مفرداتها.

الأكاديمية الوطنية للتدريب تعاملت احترافياً مع التكليف، وأعلنت الاستمرار فى تلقى طلبات المشاركة من مختلف القوى فى المجتمع المصرى، فى إطار تكليف الرئيس، بالتنسيق مع كل تيارات وفئات المجتمع لإدارة حوار وطنى حول أولويات العمل الوطنى خلال المرحلة الراهنة.

الأكاديمية الوطنية للتدريب، ذكرت أنها ستدير هذا الحوار الوطنى بكل تجرد وحيادية تامة، فى إطار دورها التنسيقى بين كل التيارات المشاركة بالحوار، بعيدًا عن التدخل فى مضمون ما تتم مناقشته فى جلسات الحوار، لإفساح المجال أمام حوار وطنى جاد وفعّال وجامع لكل القوى والفئات.

ورغبة فى توسيع قاعدة المشاركة، قررت الأكاديمية الوطنية للتدريب، دعوة ممثلى جميع فئات المجتمع المصري، لضمان تمثيل الجميع فى الحوار، وذلك فى إطار تدشين مرحلة جديدة فى المسار السياسى للدولة المصرية نحو جمهورية جديدة تقبل الجميع.

وفى هذا الإطار أكدت الأكاديمية الوطنية للتدريب أنه سيجرى تشكيل لجنة حيادية مشتركة من مراكز الفكر والدراسات لتجميع مخرجات الحوار عبر جلساته المختلفة فى وثيقة موحدة، متفق عليها من جميع القوى المشاركة لتمثل هذه النتائج خارطة الطريق نحو الجمهورية الجديدة.

فى اعتقادى أن «الحوار الوطنى»، هو فرصة حقيقية لجميع الأطراف، التى تمثل الدولة الوطنية، بما فيها أحزاب المعارضة بمختلف التيارات السياسية، المؤمنة بفكرة الوطن واستقراره، وفى نفس الوقت فإن

• الحوار فى حد ذاته يعبر عن عودة الروح والرغبة الكاملة فى الشراكة السياسية واستلهام الرأى الآخر والاستماع إليه

هذا الحوار لن يقبل أى فصيل رفع السلاح فى وجه المصريين، أو ساهم فى إرهابهم بكافة الوسائل، أو تطاول على جيشهم الوطنى الرشيد أو قيادته.

الحوار الوطني، فرصة لكل المصريين. فرصة لأن تجدد مصر حيويتها ودمائها بأفكار جديدة نابعة من كل أرجاء المحروسة، وسط تحديات دولية وأقليمية وداخلية.. لكن فى النهاية تظل مصر قادرة على تجاوزها

فهمي عنبة:
حوار للمستقبل .. وبناء الوطن

تعالوا نرسم معاً ملامح الوطن الذى نريده .. ونحدد بحوارنا معالم الطريق الذى اخترنا أن نسير فيه لنرتقى بدولتنا إلى المكانة التي تليق بها وبتاريخها.. ونصل بتلاقى أفكارنا وآرائنا إلى اسلوب حياة كريمة يستحقها الشعب المصرى صانع أول حضارة وصاحب أول سطر فى كتب التاريخ.

كانت فلسفة الرئيس عبدالفتاح السيسى حينما دعا إلى حوار وطنى شامل فى رمضان الماضى خلال افطار الأسرة المصرية .. أن يشارك الشعب بكل فئاته وطوائفه بالفكر والرؤى فى صياغة خارطة طريق للمستقبل .. حتى يشعر كل مواطن أنه ساهم فى بناء الجمهورية الجديدة التى يحلم بالعيش على أرضها وتحت سمائها.

كانت الدعوة بمثابة حجر حرك المياه الراكدة فى الشارع السياسى وتحمس الجميع .. وعقدت ندوات ولقاءات .. ولا نبالغ إذا قلنا أن تحالفات جديدة بين قوى سياسية بدأت تتشكل ربما لتمثل ورقة ضغط للأخذ بأفكارها وفرض ما تراه من وجهة نظرها.. وانتعشت الأحزاب التى كادت أن تتوارى وارتفع صوتها.. وطفت إلى السطح مرة أخرى شخصيات كانت طى النسيان .. وبالتأكيد وسط آلاف من الوطنيين المخلصين .. كانت هناك حفنة من الانتهازيين الذين يبحثون عن أدوار بعد أن انحسرت عنهم الأضواء أو تأكدوا أنهم ليس لهم

قبول لدى الجماهير.

كل ذلك وأكثر منه تستوعبه الحياة الديمقراطية .. ولا بأس من وجوده فى الحوار الوطنى الذى قبل أن نتطرق إليه وإلى محاوره التي ستتناولها النقاشات وكيفية صياغة التوصيات .. فهناك ملاحظات عامة على طبيعة الحوار والمشاركين فيه وتشكيل لجانه .. فنحن أمام لحظة تاريخية يلتقى فيها الشعب بكل فئاته وطوائفه واتجاهاته فى حوار شامل للاتفاق أولا على أن مصلحة الوطن أهم من أى خلافات مذهبية أو حزبية .. فعلى كل القوى والتيارات والأحزاب .. وعلى المواطنين من عمال وفلاحين ومثقفين .. وعلى رجل الشارع البسيط الاستعداد للمشاركة وعرض أحلامه وآماله .. على الجميع أن يفكروا فى شكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى الجمهورية الجديدة .. وهذا يستدعى أن تتهيأ الفرصة لمشاركة كل مواطن من حوارى القاهرة إلى نجوع أسوان .. ومن أزقة الإسكندرية إلى كفور الدلتا.. ومن عطفات بورسعيد إلى شوارع الفيوم وبنى سويف .. وبالطبع يستدعى ذلك عدم التعجل فى إنهاء الحوار سريعاً ولابد أن تأخذ النقاشات حقها وضمان أن يدلى كل مصرى يريد المشاركة برأيه .. ولكن الملاحظ حتى الآن أن أغلب التمثيل فى الحوار هو للنخب .. وحتى فى برامج التليفزيون نرى نفس الوجوه التى اعتدنا رؤيتها سواء أكانت من المعارضة أم المؤيدين للحكومة .. فأين الشعب .. أم سنظل ندور فى فلك أسماء محددة .

علينا أن نعترف أن النخبة هى التى أوصلتنا إلى حالة الانسداد السياسى الذى نعيشه .. والذى دعا إليه « الرئيس السيسى » بالتأكيد هو حوار شامل للشعب وليس للنخبة .. نريد أن نرى وجوهاً جديدة .. لذلك مطلوب فتح منافذ أكثر للحوار.. ولا مانع من تخصيص قاعة فى كل قرية أو مدينة تكون فى مركز الشباب أو قصر الثقافة أو فى مجلس المدينة يتم فيها لقاء المواطنين العاديين واستقبالهم وعقد ندوات معهم وأخذ أفكارهم وتجميعها على مستوى كل محافظة ثم ارسالها إلى مجلس أمناء الحوار .. وهذا ما سيكسب الحوار مصداقية وثقة أكبر لدى أفراد الشعب .. فنحن لا نريده حواراً ضيقاً ولا حوار « طرشان ».

يوجد العديد من البسطاء الذين لا يعرفون كيف يتعاملون مع وسائل التواصل الالكترونية .. ويتمنون أن يشاركوا فى الحوار الوطنى وعندهم بالفعل أفكار مهمة .. وقد اتصلت بى السيدة « عين الحياة صالح » التي كانت الأم المثالية على مستوى الجمهورية عام ١٩٩٩ وتريد المشاركة لكنها لا تعرف كيف وهى التى يلقبونها بقاهرة الأمية أولاً لأنها تعلمت فى الكبر ثم أقامت فى منزلها فصولاً لمحو أمية أهلها فى البراجيل بالجيزة .. وبالتأكيد هناك مثلها كثيرون .. وهذا يستدعى بذل جهد أكبر من مجلس أمناء الحوار الذى هناك أيضاً ربما بعض القصور فى تشكيله فبينما تم اختيار الأستاذ كمال زايد كممثل لرجال الأعمال .. فأين ممثل العمال أو الفلاحين خاصة وأن هناك قضايا مهمة تخصهم سيتم مناقشتها بالتأكيد في الحوار عند التعرض للجانب

● المواطنة الكاملة تعطى حقوقًا متساوية للجميع فى ظل مراكز قانونية معترفًا بها

الاقتصادى مثل ما الرأى فى الخصخصة وبيع أصول شركات ومصانع قطاع الأعمال والمعاش المبكر.. أو هل هناك ضرورة لعودة الدورة الزراعية وكيف يستعيد القطن المصرى عرشه .. وغيرها من القضايا.. وكذلك أين ممثل أصحاب الهمم والقدرات الخاصة ومن سيعبر عن طموحاتهم في الجمهورية الجديدة ؟

.. ومع احترامنا وتقديرنا لكل الاساتذة الأفاضل الذين تم اختيارهم فى تشكيل مجلس الأمناء فان ممثلى الإعلام فى هذا المجلس جميعهم ينتمون لمؤسسة واحدة باستثناء الكاتب الصحفى الاستاذ عماد الدين حسين رئيس تحرير الشروق الذى اختير بصفتة عضو مجلس الشيوخ ؛ والكاتبة الصحفية الاستاذة فاطمة سيد أحمد رئيسة تحرير جريدة روز اليوسف السابقة والتى اختيرت بصفتها عضوة بالهيئة الوطنية للصحافة .. بالتأكيد هذه نقطة شكلية لا تقلل من مجلس الأمناء ولا من أحقية من تم اختيارهم ؛ ولكن هناك منابر إعلامية أخرى بها كفاءات وأصحاب رأى وفكر كانوا يستحقون ان يشملهم التشكيل ولو من باب مشاركة مختلفة لرؤى وطنية من خبرات فنية ومهنية من مدارس متعددة .. وعلى الأقل حتى لا تبدو الصورة من البداية وكأنه استحواذ جهة واحدة واستئثارها بالمشاركة وحجب الآخرين .. وتلك السلبية كان على الاستاذ ضياء رشوان ان ينتبه إليها خاصة وان الجميع استبشروا خيراً باختيارة رئيساً للجنة الحوار .. وحتى لا يُتهم بعدم الحيادية وتفضيلة من ينتمون لمؤسستة فقط وخصوصاً انه يشغل منصب نقيب كل الصحفيين.

بالطبع لا أقول ذلك لهدف شخصى « ولا لحاجة فى نفس يعقوب » ولكن بالفعل هناك مؤسسات صحفية و إعلامية بها كوادر محترمة تم تجاهلها .. مرة أخرى نؤكد احترامنا لكل المختارين وتقديرنا لخبراتهم ولكن المسألة ليست أشخاصاً .. وانما نريد وضع قواعد وأسس من البداية سيسير عليها الحوار وأهمها عدم منح أكثرية لجهة أو لفئة أو لحزب أو لاتجاه سياسى على حساب الآخرين.

كما قلنا.. علينا إلا نتعجل الانتهاء من الحوار سريعاً والتوصل ألى توصياته دون اعطاء الجميع فرصتهم فى المشاركة.. ويمكن عمل لجان فرعية بالمحافظات منبثقة عن لجنة الحوار الرئيسية تستقبل الآراء والأفكار من المواطنين والتواصل معهم .. ثم نقلها إلى مجلس الأمناء .. وإذا استدعى الأمر توسيع عضويته وأضافة شخصيات وكوادر جديدة فلا مانع من زيادة العدد .. فلماذا تحديده بـ ١٩ شخصية فقط سيكون المنوط بهم تلقى عشرات وربما مئات الآلاف من الأوراق والأبحاث .. كما سيلتقون بالمدعوين للحوار وحضور الجلسات ووضع التوصيات وصياغتها فهل عددهم يكفى لكل هذا العبء المُلقى على عاتقهم أم من الأفضل زيادة عدد الأمناء .. ثم هل هناك سكرتارية ملحقة تقوم بعمليات التبويب والاحصاء و... ؟! .

دارت العجلة ولن تتوقف .. ومازلنا فى البداية .. ولا نريد أن تضيع هذه الفرصة غير المسبوقة لتوحيد الشعب واقتحام كافة القضايا الشائكة وفتح كل الملفات ووضع علاج للمشاكل والأزمات المزمنة .. باختصار علينا الاستعداد لعرض كافة الآراء وتقبل الاختلاف حول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سيتم مناقشتها.. واتساع صدر الحكومة للمعارضة الوطنية من أقصى اليسار إلى اليمين المحافظ

.. كل اتجاه له رؤيته المختلفة.. ولكن طالما الكل يقف على أرض واحدة.. فسيصلون إلى اتفاق وحلول وسط لبناء مصر الجديدة فكلهم مصريون.

قالوا أيام حسنى مبارك رحمه الله « شاخت الدولة » .. لكن الأيام أثبتت ان مصر ظلت كما هى عبر العصور « شابة صبية بهية عفية » .. دولة قوية دائماً تجدد نفسها بثورات شعبها .. و بأجيال جديدة تولد.. تجعل الأغلبية فى الوطن للشباب.. لذلك علينا أن نتفاءل بالمستقبل.. فمن أجلهم وبهم كانت ثورات الوطن.. من ثورة عرابى حتى ٣٠ يونيو.. ومن أجلهم وبهم سينجح الحوار الذى سنتناول محاوره فى المقالات القادمة إذا كان فى العمر بقية باذن الله.

تحقيق الأحلام

يستحق المصريون إن يحققوا أحلامهم فى مستقبل أفضل بعد سنوات طويلة من التضحيات وصبرهم على الأزمات المتتالية التى ما كادوا يخرجون من أحداها حتى تضربهم أشد منها.. ومع ذلك يتحملون المشاق ويواصلون بذل العرق والجهد والعمل لزيادة الإنتاج وبناء دولتهم .. رغم كل الصعاب والتحديات التى تحيط بهم من الداخل والخارج !! .

ينتظر الشعب بفارغ الصبر «طوق نجاة» ينقذهم من موجات الغلاء المتلاحقة التى زادت من معاناتهم خاصة بعد أزمة وباء كورونا ومن بعدها تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية مما أدى ألى ارتفاع كبير فى أسعار المواد الغذائية والطاقة.. ومن المتوقع أن يزداد الوضع سوءاً إذا استمرت الحرب التى لا يعلم سوى الله متى ستنتهي .. من هنا تنبع أهمية الملف الاقتصادى فى الحوار الوطنى فلعله ينتج عنه سياسات يتفق عليها المجتمع تضمن توفير سبل معيشة أفضل للمواطنين وتؤدى إلى حزمة من الإجراءات النقدية والمالية تخفف من العبء عن كاهل الأسرة المصرية !!

بالتأكيد مصر لديها من

الإمكانيات والمقومات والأصول والموارد التى لو تم استغلالها بكفاءة وتم إدارتها بحرفية لساهمت فى خفض عجز الموازنة .. كما يحتاج الأمر ألى مناقشات مستفيضة حول السياسات التجارية والصناعية والزراعية المتبعة وكيفية تطويرها .. والعمل على وقف الدين الخارجى الذى وصل إلى ١٥٧,٢ مليار دولار تمثل ٩٤٪ من الناتج المحلى وتمثل فوائده ٨,٢٪ من هذا الناتج البالغ من ٩ : ٨ تريليونات جنيه .. فهل تستمر سياسة الاقتراض أم أن هناك بدائل لدى الخبراء الذين سيشاركون فى الحوار ؟! .

.. ولأن البطالة وإيجاد فرص عمل جديدة من الأولويات .. فمن القضايا الاقتصادية المهمة كيفية جذب الاستثمارات المحلية والأجنبية .. فإذا كانت الدولة تسعى لجعل القطاع الخاص يحقق ٦٥ ٪ من المشروعات خلال ٣ سنوات .. فهل فعلاً الحكومة جادة فى ذلك وهل تم وضع السياسات الجاذبة للاستثمار .. والأهم هل إجراءات افتتاح الشركات وإقامة المصانع أو تعمير الأراضى الزراعية واستصلاحها مناسبة لصاحب رأس المال ؟! .

لابد أن يتفق المتحاورون على مباديء اقتصادية مهمة .. وهل هذا هو الوقت المناسب لخصخصة الشركات خاصة الناجحة بينما العالم كله فى الأزمات يعود لسيطرة الدولة على مراكز الإنتاج لضمان توفير احتياجات الشعوب .. لأنه فى أوقات الحروب والأوبئة تغلق طرق التجارة الدولية وحتى الدول الغنية و التى تمتلك أموالاً لا يمكنها الحصول على ما تريده لأن سلاسل الإمداد متوقفة .. فلابد من تحقيق أكبر قدر من الاكتفاء الذاتى فى مختلف المجالات والسلع والمنتجات لكى لا تحدث أزمات داخلية ويعانى المواطن من نقص فى المواد الغذائية والسلع الضرورية أو تتوقف المصانع عن العمل لعدم وجود خامات او قطع غيار او لا تجد الدولة السلع الاستراتيجية !! .

باختصار .. علينا توظيف الموارد بصورة رشيدة .. والاتفاق على أفكار غير تقليدية للارتقاء بالاقتصاد الوطنى بعيداً عن «الروشتات» الخارجية خاصة أن العالم يتجه إلى الرقمنة والاستثمار الأخضر للحفاظ على الطبيعة والمناخ الذى تستضيف مصر قمته الإطارية «كوب ٢٧» فى نوفمبر القادم بشرم الشيخ ومن الطبيعى أن نكون من أوائل الدول التى تستثمر فى التكيف البيئى والاتجاه إلى الطاقة النظيفة .. وعلينا أيضاً إيجاد بدائل للقروض وربما يتم طرح فكرة استبدال القروض باستثمارات أو إعادة جدولة الديون من خلال التفاوض مع المقرضين لأن الأزمة عالمية وبذلك نخفف الضغط على الجنيه المصري.. لابد ان يستمر الإصلاح الإقتصادى الذى بدأولكن هذه المرة بناء على توافق مجتمعى على السياسات والأولويات !! .

تظل الأوضاع الاقتصادية هى المؤشر الأول لتقدم الدول .. ومعيارها يسبق الحياة السياسية ويتفوق على الملفات الاجتماعية .. وإذا كان ذلك بالنسبة للمؤسسات الدولية فإن المواطن أيضاً «يحسبها بالمليم» وبمدى قدرته الشرائية وتلبية احتياجات أسرته الأساسية .. ومن هنا مطلوب زيادة الإنتاج

• الحوار الوطنى يكتسب مصداقيته مما يُثار خلاله من نقاش مفتوح ومتنوع ولما سيفضى إليه من نتائج ملموسة

فى مختلف المجالات وتنشيط البورصة بتوسيع الملكية للمواطنين واستبدال خصخصة الشركات بطرحها للاكتتاب العام للشعب الذى لن يتأخر كما فعل عند الاكتتاب فى قناة السويس وذلك بدلاً من بيعها لمستثمر داخلى او خارجى يكون أول ما يفكر فيه هو الاستغناء عن العمال وبيع الأراضى بأعلى سعر !! .

قبل ان ننتقل الى الملف السياسى الذى يعتبره الكثيرون انه الأهم ويقولون انه محور الحوار وهدفه .. فيجب ان يعرف كل طرف حقوقة وواجباتة .. فالمواطن اذا قام باداء ماعليه من العمل باخلاص و بالدفاع عن الوطن وقت الحاجة وسدد الضرائب بانتظام ودفع فواتير الكهرباء والمياة والغاز فى مواعيدها .. بمعنى ان الدولة تعتبره مواطناً صالحاً .. فمن يضمن حقه لدى الحكومة اذا تقاعست عن دورها فى توفير احتياجاتة من تعليم وعلاج وتوفير سكن له ولاسرتة ووظيفة كريمة يعيشون من دخلها .. ليس ذلك فقط ولكن من يعوض المواطن الصالح المؤدى لكل واجباتة اذا ساءت الخدمات من كهرباء ومياة وغاز التى يدفع فواتيرها .. لذلك فلمطلوب وضع اسس لمحاسبة الجهات التى تقصر فى عملها وينتج عن ذلك عدم حصول المواطن على حقوقه الأساسية من تعليم وعلاج .. وتخصيص أجهزة للمراقبة وضمان جودة الخدمات وفقاً للمعايير الدولية .. فهذا أبسط حقوق الانسان !!! .

بدأت الدولة مؤخراً خطوات فى مجال الإصلاح السياسى تمثلت فى إعلان استراتيجية حقوق الإنسان والاتجاه لمحاربة الفساد والعفو عن عدد من المسجونين السياسيين وإعطاء حرية أكبر لعمل الجمعيات الأهلية وإعلان هذا العام عاماً للمجتمع المدني .. ولكن باعتراف المسئولين مازلنا فى البداية وهناك الكثير جداً فى هذا الملف علينا إنجازه والتحاور بشأنه والتوصل إلى إطلاق حرية التعبير والإعلام والسماح بالنقد الموضوعى والإفراج عن قانون تداول المعلومات والتصدى لتزاوج المال مع السلطة وزيادة سطوة ونفوذ المال فى الانتخابات العامة .. مع التوصل إلى نظام انتخابى يحقق العدالة لجميع القوى الوطنية ويؤدى لانتخاب الأصلح وليس الأغنى أو صاحب السلطة والنفوذ !! .

إذا كنا تحدثنا فى مقال سابق عن الملف الاجتماعى وقلنا إن إصلاح الإنسان يبدأ من الحضانة .. فإن الإصلاح السياسى يبدأ من الوحدات المحلية فى القرية والحى ثم المدينة والمحافظة .. فالمحليات هى المدرسة الأولى لإفراز القيادات المتمرسة وهى التى تتعامل مباشرة مع الجماهير وتعلم جيداً اهتمامات المواطن واحتياجاته .. وإصلاح المحليات يؤدى لإصلاح المجتمع وفسادها يؤدى لانهيار الدولة .. لذلك فمن المهم إصدار قانون المحليات المعطل منذ سنوات وسرعة إجراء انتخاباتها فليس من المعقول إن تظل دولة بحجم مصر لا توجد بها مجالس محلية منذ حلها عام ٢٠١١ وكانت أخر انتخابات لها فى عام ٢٠٠٨ !! .

خارطة طريق الإصلاح السياسى لابد أن تضع فى حسابها التحديات الداخلية والخارجية التى تواجهها الدولة والتحالفات الدولية والإقليمية التى تتكون فى ظل نظام عالمى جديد يتشكل ويجب أن يكون لمصر دورها ومكانها ومكانتها فى هذا العالم باعتبارها قوة محورية فى الشرق الأوسط وأفريقيا والأمة العربية .. وذلك لن يتأتى إلا بالحفاظ على قوة الدولة وجيشها وتوازن علاقاتها مع مختلف القوى على الساحة الدولية .. وقد يكون ملف العلاقات الخارجية هو الوحيد الذى يحتاج إلى توافق الجميع !! .

الأهم من كل ذلك هو العدالة والمساواة .. فالمواطنة هى الأساس .. والجميع يخضعون للدستور والقانون .. والتصدى للفساد بكل صوره ووضع حد للرشوة والمحسوبية و« الواسطة » حتى لا يفقد الشباب الأمل فى الغد .. وبالتأكيد لا يوجد من يوافق على التضييق على الجمعيات الأهلية أو ملاحقتها أو قمعها .. وفى نفس الوقت لابد من وضع ضوابط لعملها ومراقبة مصادر تمويلها وضمان عدم قيامها بما يضر مصلحة الوطن !! .

بالطبع لا نقول ان كل شىء فى مصر على ما يُرام .. ولكن المهم اننا بدأنا خطوات على الطريق الصحيح .. ونأمل أن يسفر الحوار الوطنى عن رسم ملامح مستقبل مصر الجديدة .. فمازال المشوار للوصول إلى ما يحلم به المصريون طويلاً وعلينا جميعاً أن نخوضه معاً !! .

من إيجابيات الحوار الوطنى الشامل التى يغفل عنها الكثيرون .. التحاور المباشر بين أبناء الوطن من مختلف الطبقات والفئات والطوائف والأحزاب

.. مما يعنى أن المختلفين فكرياً وسياسياً ودينياً سيلتقون معاً وجهاً لوجه .. يتناقشون بشكل حضارى ورُقى فكري .. يعرض كل منهم رؤيته ونظرته للأمور.. ويضع الحلول التى يراها للمشاكل والأزمات .. والخطط التى يريد أن تسير عليها الحكومة .. وذلك بدلا من «التحاور الافتراضي» عبر وسائل التواصل الذى سيطر على حياتنا خلال السنوات العشر الأخيرة .. ولم يؤدى سوى إلى المزيد من الاختلاف والاستهزاء بالآخرين وبأفكارهم والتنمر عليهم .. ومن المهم إن تنتقل عدوى الحوار المباشر إلى شبابنا فيلجأون إلى التفاهم وجهاً لوجه ويتركون منصات التواصل التى تزيد من هوة الخلافات وتفرق أكثر مما تجمع !! .

القضايا المطروحة للنقاش فى الملفات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية والثقافية متعددة ومتشعبة لا يمكن حصرها أو التطرق إليها جميعاً فى هذه المساحة او من خلال عرضها فى ٣ مقالات .. والأهم أنها تحتاج إلى وقت للتحاور بشأنها وهو ما على لجنة الحوار وأمانتها ان تراعيه وتعطية الوقت الكافى للخروج بتوصيات يتفق عليها الجميع أو الأغلبية تؤدى لوضع خارطة طريق للمستقبل...فى النهاية.. نقول إن الإنسان هو الذى يحرك أى تغيير وهو جوهره وهدفه .. لذلك يجب ألا يشغلنا الحوار والخلاف حول الفرعيات .. عن «المحرك والجوهر والهدف» .. فاستعادة شخصية «ابن البلد» وبناء الإنسان هى التى تقودنا إلى مصر الجديدة التى يحلم بها كل مواطن !! .

• الأمر يحتاج إلى مناقشات مستفيضة حول السياسات التجارية والصناعية والزراعية المتبعة وكيفية تطويرها

قضية العدد

القرآن الكريم ليس كتابًا فى الطب

عادل نعمان

كاتب وعضو المجلس الاعلى للثقافة، كاتب بصحف المصرى اليوم والوطن

أقر بأن هذا المقال ليس له علاقة بما صرح به الأستاذ الدكتور حسام موافى، والأستاذ الدكتور جمال شعبان، الذى كان لقلبى المهدود فرصة العلاج على يديه بعد عناء طويل، فربما الصدفة هى التى وسعت الجميع.

القرآن الكريم ليس كتابًا فى الطب أو الهندسة أو الرياضة أو الفلك أو الزراعة، بل كتاب عبادات وأحكام ومعاملات من عند الله، والرسول لم يكن طبيبًا أو مهندسًا بل كان نبيًا رسولًا، يحمل رسالة التوحيد من الله إلى الناس، ولم يكن ناصحًا أو موجهًا فى التداوى والعلاج إلا بما كان قد استقر عليه الناس وألفوه وتعلموه وتناقلوه عن أطباء زمانهم، وتجارب إنسانية متبادلة ومنقولة عبر الأزمنة والأماكن.

وما نصح وفد (عرينة وعوكل) فى عام الوفود بأن يخرجوا إلى الصحراء حين «استوخموا الأرض» أصابهم الكسل وانتفخت بطونهم، ليتريضوا فى الصحراء ويشربوا من بول الإبل وألبانها إلا وقد كان هذا النوع من العلاج متعارفًا عليه ومعمولًا به ومستقرًا عليه، وقائمًا بين أطباء زمانه وموثقًا ومختومًا، نقلها الرسول كما نقلها الناس من قبله ومن بعده وكذلك يفعلون، ونصح غيره كما نصحه الغير، وهو فى هذا ليس طبيبًا بل ناصحًا وناقلًا أمينًا.

ومن مجالس الدراويش والوضاعين عبر تاريخ طويل من الزيف بدأ فى عهد الأمويين، وزاد بلة فى العهد العباسى، حين انشغل الناس بتأليف الأحاديث والمرويات، ونقلوا عن الرسول من الأخبار ما وسعتهم مساحة التدليس وأتقنوها، فكانت الحجة «وداوها بالتى كانت هى الداء» فى وضع أحاديث فضل سور القرآن «حسبة وقربى لله» حتى يعود الناس إلى القرآن كما قالوا: «ليجذب بها قلوب الناس إلى الله تعالى بالترغيب والترهيب»، فقبل الناس هذا ثقة فيهم وركونا إليهم.

فقد رُوى أن «أبى عصمة نوح بن مريم» سُئل: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة كذا وسورة كذا، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ (ولم نسمع هذا من أصحاب عكرمة) فقال: إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن

إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة لله، وقد ذهب فريق من (الكرامية) إلى جواز وضع الحديث للترغيب والترهيب، حتى قال بعضهم: إن كان الرسول قد حذر وتوعد الذين يكذبون عليه، فإنما نحن نكذب (لرسول الله) وليس عليه، وبينهما فارق كبير.

وهكذا حمّلوا آيات الله ما لا طاقة لها به، وما كان من مهامها، وفرضوا عليها واجبًا ليس منوطًا بها، وعبئًا ليس على كفالتها، وأملًا ورجاء ليس له ضمانة أو وكالة، وأبوابًا من الشفاء فتحوها عنوة فى جدار ليس له من سبيل أو مخرج، فزادوا وعادوا من فضل قراءة سور القرآن، إلى العلاج به من الأمراض، فكانت آيات العلاج النفسى (الأمراض النفسية) كما يزعمون «والزعم كما تقول العرب كنية الكذب» وتبدأ بسورة الفاتحة، وسور الناس والفلق والرحمن ثم آية الكرسى، والخمس آيات الأولى من سورة البقرة، وآخر آيتين من سورة البقرة.

وأضاف المشايخ إلى علاج الأمراض النفسية علاج (مرض التوحد) بإضافة آيات أخرى، آية: (ألم نشرح لك صدرك) «٧ مرات»، وآية: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) «٧ مرات»، ومجموعة من الآيات على المريض الالتزام بها وبأعدادها، وأضافوا للتخلص من الخوف والقلق آيات من سور البقرة والأنفال والتوبة، وآيات للسكينة والهدوء من سورة الفتح إلى جانب الالتزام بمجموعة من الأدعية.

ولم يقف الأمر عند علاج الأمراض النفسية والعصبية، بل تعداه إلى علاج كثير من الأمراض العضوية، وبالطبع لم يكن كل هذا الزخم وهذه الأمراض فى حديث عكرمة، بل زاده الفضل من أصحاب الفضل من الوضاعين والمنتفعين وتجار الدين فشملت الروشتة الكثير من الأمراض حتى وصلت إلى الأورام (السرطان)، وهى قراءة آية الكرسى والمعوذتين «الفلق والناس» وسورة الإخلاص، وتكرار كل واحدة منها ثلاث مرات، وقراءة أول خمس آيات من سورة البقرة، مع دعاء المريض «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، ثم الاستعاذة من الشيطان الرجيم بدعاء خاص لا يتسع له المجال.

وتخطى الأمر علاج الأمراض النفسية والعصبية والعضوية والمتوطنة وما يجدُ من أمراض، إلى جلب الرزق وبركة المال والنجاة من الفقر، بآية «أو لم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر»، وآية «يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله»، وآيات أخرى كثيرة، بل زعموا أن فى القرآن سورًا وآيات مانعات (سورة الفاتحة تمنع غضب الله، سورة يس تمنع عطش يوم القيامة، سورة الواقعة تمنع الفقر، سورة المُلك تمنع عذاب القبر، سورة الكوثر تمنع الخصوم، سورة الكافرون تمنع الكفر عند الموت، سورة الإخلاص تمنع النفاق، سورة الفلق تمنع الحسد، سورة الناس تمنع الوسواس، سورة البقرة تمنع دخول الشيطان ثلاث ليالٍ، آية الكرسى تطرد الشيطان).

وآفة كل هذا هو البعد عن العلم، ووضع الدين فى معركة مع العلم والطب ليست متكافئة، بل التعجل فى الخصومة وفى حسم المعركة ليس فى صالحه، وكلاهما الدين والعلم من عند الله الواحد، كلٌ منهما فى طريق، هذا إلى الله وذاك نفس المسير، فلماذا هذا الخلط بين أملاك الله الواحد البصير؟ أما كارثة الكوارث فهى عدم الأخذ بالأسباب، والعلاج والتداوى من المرض، والعمل والإخلاص فى جلب الرزق، والمذاكرة للنجاح والجد والإخلاص والسلام ليعيش الناس فى أمن وسكينة، ونسأل الناس سؤالًا واحدًا: هل تستطيعون الاعتماد على كل ما سبق فى كافة أمور حياتكم، وتنجون من الأمراض النفسية والعضوية والمتوطنة وكذلك من الفقر والحاجة؟ لا أعتقد. (الدولة المدنية هى الحل)

ندوة العدد

ندوة فكرية في الرباط بعنوان

رسالة السلام تعاون وسلام

انطلقت صباح السبت ١٣ اغشت بفندق ابيس وسط العاصمة المغربية الرباط اعمال ندوة فكرية ، نظمتها جمعية رسالة السلام العالمية ، وبعد الافتتاح بآيات بينات من الذكر الحكيم، تناول الكلام الأستاذ اماي الخليل رئيس جمعية رسالة السلام بالمغرب الذي رحب بالحاضرين، وعرض برنامج الندوة.

ثم تحدث عن أهمية موضوع المدوة الذي هو "رسالة السلام تعاون وسلام"، معطيا أمثلة من التوجيهات التي تضمنتها كتب الأستاذ علي محمد الشرفاء الحمادي.

وقال "علينا أن نقف وقفة إجلال وتقدير لمفكرنا العربي الأستاذ علي محمد الشرفاء الحمادي هذا العالم الذي بدوره لعب دورا محوريا في تنقية الإسلام من الشوائب وأنار درب المسلمين في شتى أنحاء المعمور بتبيانه قول الحق والدعوة للسلام".

وقال "إن برنامج الندوة يتضمن قراءات في كتب الدكتور علي الشرفاء ونقاشات لمضامينها".

وبعده تناول الكلام الأستاذ حي معاوية حسن الأمين العام مؤسسة السلام للدراسات والبحوث الإسلامية، فرحب بالحاضرين، وهنأ جمعية رسالة السلام العالمية بالمغرب على تنظيمها لهذه الندوة المخصصة للبحث والمناظرة في موضوع هام جدا ألا وهو "رسالة السلام تعاون وسلام".

وقال "لمؤسسة السلام العالمية كما لجمعية رسالة السلام العالمية بالمغرب ،كامل الشرف بتنظيم هذه الندوة في ظل هذا العهد الميمون عهد جلالة الملك محمد السادس أعزه الله وأيده ونصره، مؤكدا استحضار الندوة اليوم، لتجربة التعايش بين الديانات في المغرب على مر التاريخ، ولقيم التعايش والحوار التي ما فتئ أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس يدعو لها في خطاباته".

وأضاف "إننا نضع أمامنا في هذه الندوة آيتين محكمتين من كتاب الله لنسترشد بهما في إثراء نقاشاتنا، وهما قول الله سبحانه وتعالى في الآية ١٣ من سورة الحجرات: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم"، و(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)".

وقال "ففي الآية الأولى، كما تلاحظون، يبلغ الله الناس بأنه خلقهم من نفس واحدة وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتعاونوا على الخيرات وتحقيق السلام في مجتمعاتهم ليحيا الانسان حياة طيبة، وفي الآية الثانية يدعو الله الناس للتعاون لما يحقق أمنهم واستقرارهم في أوطانهم، لينصرفوا للبناء والتعمير والارتقاء بمجتمعاتهم بالعلم والمعرفة وتحقيق الحياة الكريمة في تأمين معيشتهم ومساكنهم، ولتتحقق لهم الأجواء السليمة لتربية أبنائهم، وليستكملوا مسيرة الأجداد في التنمية".

وتابع الأستاذ حي معاوية حسن "نترك المجال للمناقشات، وقد وزعنا إثراء للندوة وتوسيعا لآفاق التفكير، مجموعة من الكتب الثرية التي ألفها المفكر العربي البارز الدكتور علي محمد الشرفاء الحمادي حفظه الله، والتي حث فيها بفكر تنويري أصيل على التمسك بقيم السلم والتعاون، ووضح فيها للمسلم مراد الله تعالى منه في حياته الدنيوية وفي مصيره الأخروي".

وبعد ذلك، تابع المشاركون محاضرة تحت عنوان "حرية المعتقد انطلاقا من قوله تعال: لا إكراه في الدين"، قدمها الاستاذ محمد اشماعو وهو حقوقي ومحامي بهيئة المحامين بالرباط وأستاذ جامعي.

وأشفعت المحاضرات بنقاشات ثرية وأسئلة للجمهور رد عليه المحاضر بكفاءة عالية.

وبعد ذلك تناول الكلام الأستاذ فاضل المصدق الأمين العام لجمعية رسالة السلام بالمغرب الذي قدم قراءة مفصلة في كتاب "رسالة الإسلام" للمفكر علي محمد الشرفاء الحمادي.

وتوقف الأمين العام عند قول

الأستاذ علي محمد الشرفاء الحمادي " فالله يأمر الناس بالتعاون فى كل المجالات، ولكن ينهى عن استخدام شعار الإسلام وسيلة لإغراء الناس ودفعهم بالعاطفة الدينية مستغلا فيهم تلك المشاعر الإسلامية فى سبيل تحقيق مصالح دنيوية أنانية تحقق مصلحة لمجموعة معينة من الناس فقط ويكون المساهمون والمودعون وقودا لتحقيق مصالح المؤسسين فقط"، فالإسلام يعتبر ذلك غشا للناس وعملا غير أمين".

وبعد ذلك تناول الكلام الاستاذ عبد الرحمن مدير فرع مؤسسة السلام في داكار الذي قدم عرضا مفصلا عن معالم الهدى والنور من خلال كتاب "رسالة السلام" للمفكر علي محمد الشرفاء الحمادي.وأكد الأستاذ عبد الرحمن "أن كتاب "رسالة الإسلام: رحمة وعدل وحرية وسلام"، يعتبر من بين الكتب المرجعية لتبيين الهدى الصحيح الذي جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه".واستهل الكتاب الذي يقع في ستين صفحة من الحجم المتوسط بمقدمة ضافية، استهلت بالآيتين الكريمتين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) و (وإنك لعلى خلق عظيم)، وبعد ذلك حديث عن السياق العام لتأليف الكتاب؛ الذي يأتي في وقت تكالب فيه المتآمرون على رسالة الإسلام الحقة؛ وأنشأوا روايات تتعارض مع قيم القرآن وسماحة الدين، ممزقين وحدة الرسالة الإلهية إلى مرجعيات متناحرة ومتصارعة، من خلال ترسيخ وإعلاء الخطاب الديني على الخطاب الإلهي؛ وهو ما يعارض جوهر رسالة الإسلام".

ويرى المؤلف "أن التفريق بين الخطابين "الإلهيوالديني" ضروري وواجب"، مبينا "أن مصدر الخطاب الإلهي الوحيد هو القرآن الكريم، الذي أمر الله رسوله الكريم بتبليغه للبشرية جمعاء، وهو الضامن لسعادة البشر المرتكزة على عبادة الإله الواحد، وقد تضمن هذا القرآن خارطة طريق تخرج الناس من الظلمات للنور، بتشريع أساسه العدل والرحمة والأخلاق وتهذيب النفوس بارتقائها عن طريق القيم النبيلة وترسيخ المحبة، والتسامح والتعاون والسلام".ويعود المؤلف ليوضح

"أنه في لحظة نزول الآية الأخيرة توقف الخطاب الالهي بعد ما اكتملت الرسالة وسيظل القرآن كما أنزله حيا تتفاعل به القلوب والعقول والذي يضيء للمؤمنين الدروب حتى تقوم الساعة". ووزع المؤلف أركان الإسلام إلى ثلاثة محاور هي:

- الأول "العبادات" التي تضمن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا والتفكر والتدبر في القرآن وفي مخلوقات الله.

- المحور الثاني هو "منظومة القيم والأخلاق" الذى يحتوى على بر الوالدين والعلاقة الزوجية وحقوق اليتامى وضوابط الميراث والإنفاق فى سبيل الله وسلوك المسلم.

- المحور الثالث من أركان الإسلام وفقا لمؤلف الكتابهو "المحرمات"، وهي الفواحش والتصرفات السيئة. وخلص المتحدث لتأكيد "أن الكتاب يعتبر إضافة بالغة الأهمية للمكتبة الإسلامية الراشدة، وخطوة كبرى في إطار تجديد الخطاب الإسلامي، ويأتي في وقت أحوج ما تكون الأمة إليه". وبعد العروض والمناقشات، وزع المشرفون على الندوة مئات من مؤلفات المفكر علي محمد الشرفاء الحمادي على الحاضرين. وبعد ذلك ألقى رئيس جمعية رسالة السلام بالمغربالأستاذ اماي الخليل كلمة الاختتام التي شكر فيها المحاضرين والمشاركين في هذا اللقاء الفكري التواصلي الهام.

وقال "أود أن أتوجه بكامل الشكر وجزيل الامتنان الى قدوتنا الفكرية ومصباحنا المضيء السيد الأستاذ والمفكر العربي علي محمد الشرفاء الحمادي الذي منه نستمد قوتنا الفكرية، وبفكره النير نصحح مفاهيمنا العقائدية"، منوها "بالقيم التي يدعو إليها المفكر العربي علي محمد الشرفاء الحمادي والمؤسسة على السلم والسلام ونبذ العنف والتطرف".

وفي الأخير، قدم المشاركون شكرهم الجزيل لجمعية رسالة السلام بالمغرب، كما أكدوا إعجابهم بوضوح الفكر التنويري للأستاذ علي محمد الشرفاء الحمادي.

وأوصى المشاركون بتنظيم المزيد من هذه الندوات من أجل تعميم هذا الفكر المستنير الذي تحتاجه الأمة الإسلامية في أدق لحظات حياتها وفي أوج أزمتها.

قضية العدد

بين التعليم والتنوير

د. عصام عبدالفتاح

للكاتب الفرنسى ميشيل دولامونتانى، وهو من أشهر كتاب المقالات فى عصر النهضة، تفرقة طريفة بين نوعين من الرؤوس: «الرأس الفارغ» و«الرأس الممتلئ». الرأس الفارغ عنده يشير إلى طائفة من البشر اعتادت كلما أرادت الدفاع عن صحة رأيها فى قضية معينة أن تسنده إلى مؤسسة أو سلطة تتبناه.

ولا غرو فى ذلك حينما تكون هذه المؤسسة ذات مركز علمى فى المجال المعرفى المختص بهذه القضية. وقد تتجسد هذه السلطة فى شخصية اجتماعية يبجلها الجميع ويسلم، دون تردد، بآرائها فيؤيدها وينتصر لها لمجرد أنها صدرت ممن له مكانة علمية أو اجتماعية مرموقة.

فى جميع هذه الفروض نكون بصدد «الرأس الفارغ». لماذا؟ يعلل مونتانى ذلك بقوله: «إذا كنا نحل مشاكلنا بطريق التسليم أو الإيمان بآراء الآخرين فإننا قد نتوصل للحقيقة ولكن برأس فارغ!». أما «الرأس الممتلئ» فهو الرأس الذى لا يسلم بصحة رأى ما إلا بعد فحصه تحت مجهر العقل الناقد. بيد أن مونتانى أعاد صياغة هذه التفرقة بصورة أدق بعد ذلك لتميز بين «الرأس الممتلئ» أى الرأس المحشو بآراء وأحكام الآخرين دون نقدها و«الرأس المحكم» أى المدرب على ألا يسلم برأى أو بحكم إلا بعد نقده

تدعونا تفرقة مونتانى إلى طرح علامات استفهام بشأن التعليم والإبداع.

الخطاب الدائر حول إشكالية التعليم وتطويره فى مصر يعج بمفردات ومصطلحات يتداولها بكثرة المسؤولون عن التعليم عندما يتناولون سياسة النهوض بالتعليم والارتقاء به. إذ يركز على الجانب الشكلى والإجرائى المتمثل فى إنشاء الجامعات الحديثة وتجهيزها بكل الوسائل التكنولوجية الفائقة، ومن بينها جامعات ذات جنسيات أجنبية.

وليس من العسير أن نلمح فى هذا الخطاب تركيزا محوريا على أهمية التكنولوجيا الرقمية، فضلا عن الإشارات المتكررة فيه إلى احتذاء المعايير المعتمدة عالميا فى تصميم البرامج التعليمية والتدريبية وتقييم نتائجها وفى إنشاء تخصصات حديثة لأول مرة والاهتمام

بالعلوم البينية. لا يمارى أحد فى الأهمية القصوى للتكنولوجيا الرقمية فى التعليم، فهى بلا شك أداة مهمة فى إعداد أجيال ذات مهارات وكفاءات متطورة تلبى احتياجات سوق العمل. بيد أن الخطاب المتداول فى بيانه لأهمية التعليم التكنولوجى يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يوكل له مهمة التدريب على التفكير النقدى فى المجال المعرفى.

والسؤال الذى لا ينفك المرء يطرحه إزاء هذا النهوض التكنولوجى بالتعليم هو: ماذا عن الجانب الثقافى الذى تختص به وحدها العلوم الإنسانية؟ وما هى السياسة التعليمية الجديدة الرامية إلى تطوير الذهنية الثقافية بعد أن اكتسبت مهارات تكنولوجية؟ وهل كلمة السر فى النهوض بالتعليم هى فى الاهتمام الأوحد بالتكنولوجيا اعتقادا بأن التدريب عليها سيتكفل وحده بتطوير الذهنية الثقافية؟ تكمن أهمية هذا التساؤل فى أن الجماعات الأصولية الإرهابية نفسها لا تكف عن تطوير معرفتها وقدراتها التكنولوجية، بل واكتسبت فى هذا المجال خبرات عريضة ومهارات واسعة النطاق، تدربت على استخدامها سلاحا فتاكا فى ارتكاب اعتداءاتها الإرهابية، ورغم ذلك لم تغير التكنولوجيا المتطورة عقليتها المنغلقة!.

وثمة إشكالية أخرى تعددت مفرداتها فى خطاب المؤسسات التعليمية ألا وهى مشكلة الجودة. فحينما يهم المرء بالبحث عن مفهوم واضح للجودة تستبد به الحيرة أمام غموض المصطلح. فالخطاب الذى يعرف الجودة يصادر على المطلوب عندما يقول إن «الجودة هى الجهود المبذولة من قبل العاملين فى جودة التعليم لرفع وتحسين جودة المنتج التعليمى بما يتناسب مع رغبات المستفيد وقدرات وخصائص وحدة المنتج التعليمى»، فالجودة إذن هى جهود من أجل تحقيق الجودة! كما لا يعرف الجودة ببيان ماهيتها وإنما ببيان أهدافها. ومن ثم يثار التساؤل عن مدى توحد مفهوم الجودة لدى المعلمين أنفسهم. ويستطيع كل معلم أن يؤكد أنه ملتزم فى عمله بمعايير الجودة والإبداع. وثمة سؤال أخير: هل التعليم الجيد هو الذى يفى بحاجات سوق العمل فقط؟ إن التكنولوجيا قد تستحيل إلى سلاح مدمر إن لم تقترن بتنوير العقول

قضية العدد

«إخوان» اليمن.. كهنة معبد الخراب

هاني سالم مسهور

كاتب يمني

في تسعينيات القرن العشرين علّق عضو التنظيم الدولي لجماعة الإخوان على زيارته إلى اليمن بعد حرب ١٩٩٤ بقوله: «اعتدت زيارة أعضاء الجماعة في كل الدول داخل السجون، إلا في اليمن زرتهم في القصور».

يختزل هذا التعليق الموجز مدى ما يمتع به فرع اليمن من امتيازات نظير شراكته في سلطة حكم البلاد وما امتلكوا من معسكرات أمنية وعسكرية من خلالها تمت استضافة الأفغان العرب الذين حصلوا على جوازات سفر ورتب عسكرية في الجيش والقوات الأمنية للتغطية على حركتهم، وتمكينهم من التنقل. وعليه أُسس «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب»، ضمن مخطط للتنظيم الدولي، الذي كان قد قرر مبكراً أن يكون الجنوب العربي وطناً بديلاً لأفراد الجماعة حول العالم.

ما كُشف عنه في «جامعة الإيمان» داخل صنعاء من كميات أسلحة وذخائر بعد الانقلاب «الحوثي» لم يكن سوى واحدة من حقائق التستر، التي تؤكد أن فرع الجماعة في اليمن كان معداً للعدة ومتحفزاً للانقضاض على السلطة، وهو ما حاولوا له جاهدين بمحاولتهم التخلص من الرئيس صالح في تفجير جامع النهدين.

ومع سقوط صنعاء لم يخض عناصر الجماعة معركةً تُذكر، بل إنهم سلموا للانقلابيين حتى غرف نومهم، وفروا من البلاد تاركينها تواجه مصيرها. لم يكن هناك تفسير واضح لما حدث، حتى أظهرت وثائق أميركية عام ٢٠١٦ أن التنظيم الدولي كان قد اجتمع مع الحرس الثوري الإيراني على أن تتحول الجمهورية اليمنية لمنطقة استنزاف للسعودية والإمارات رداً على موقف البلدين المؤيد لثورة الشعب المصري في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ وإسقاط حكم «الإخوان»، ظهر تخادم فرع «الإخوان» اليمني مع مليشيات «الحوثي» وأسقطت الشرعية بتصعيد قيادات «إخوانية» تعمدت تسليم المواقع المحررة وتعطيل مشروع التحالف العربي بكافة الوسائل التي يمتلكونها.

اعتمد التنظيم الدولي فعلياً جنوب اليمن كوطن بديل معتقداً أن سياسة الابتزاز التي ينتهجا فرع الجماعة اليمني قادرة على تحقيق الهدف المطلوب، وكان ذلك ما تسير عليه الأمور حتى

اضطرت الشرعية المختطفة إلى توقيع اتفاق الرياض (نوفمبر ٢٠١٩) وأمنها امتلك المجلس الانتقالي الجنوبي فرصة كانت مواتية لتحجيم القوى الإسلاموية في المحافظات الجنوبية، إلا أن التأزيم السياسي والاقتصادي المتعمد مع التحولات الدولية والإقليمية ساهم بالدفع لتشكيل مجلس رئاسي أسقط جزئياً «إخوان» اليمن وأفقدهم اتزانهم.

التنظيم الدولي يعاني انقسامات حقيقية بين قياداته في جبهتي إسطنبول ولندن، وفقد غنوشي تونس موقعه السياسي في تأكيد على أن تراجعاً يحدث في قيادة التنظيم، وهو ما دفع بهم إلى الإيعاز لذراعهم اليمنية بمحاولة استعادة الموقع السياسي الذي كانوا فيه من ١٩٩٠ بعد صفقة الأحزاب الشمالية على شركائهم في الوحدة، وهذا ما يفسر اندفاعهم للتمرد في محافظة شبوة الغنية بالنفط والغاز، غير أن حساباتهم لم تكن دقيقة.

واستطاعت القوات المسلحة الجنوبية إخماد التمرد، وكشف حجم الأسلحة والذخائر المهولة في مقاراتهم المدنية، التي تستغل للتخزين وتحضير المفخخات والأحزمة الناسفة للتنظيمات الإرهابية.

التعامل بواقعية مع الأحداث والتطورات، لابد وأن يدفع بالمجلس الرئاسي لاتخاذ الخطوة الأكثر صرامة بحل الأحزاب الأيديولوجية. فلا معنى أن يتستر «إخوان» اليمن بحزب سياسي ولاؤه للمرشد العام، ولم يقدم عملاً وطنياً يذكر شمالاً وجنوباً، بل كان محرضاً ومتخادماً لتمرير أجندات ومخططات دول إقليمية، ومنفذاً مطيعاً لأوامر وتعليمات التنظيم الدولي، وحارساً لما تبقى من ميراث كهنة المعبد «الإخواني»، الذي بذره حسن البنا وسقاه سيد قطب.

يدرك «إخوان» اليمن أنهم يخوضون معركة وجودية نيابة عن التنظيم، الذي تهاوى، ولم يبقَ لهم سوى الجدار الأخير في معبدهم ووطنهم البديل اليمني، لذلك فإنهم يستميتون في هذه المعركة. بالمقابل تدرك القوى الوطنية وتحديداً الجنوبية أن هدم المعبد «الإخواني» جزء أصيل من المعركة مع الإرهاب، واستعادة الجنوب لوسطيته ومدنيته، ولذا فهدم المعبد هو الحل للنفاذ إلى المستقبل.

الخطاب الالهي

فقهاء... بلا حياء

المستشار
أحمد عبده ماهر
محام بالنقض وباحث مسلم

شرعوا لنا القتل على الهوية وعلى العقيدة عدوانا ولأتفه الأسباب اعتبروه جهاد، في سبيل الله .. وزعموا بأن الفتوحات كانت دفاعا عن المظلومين في بلاد الكافرين...

فما بال سبي النساء بالفتوحات برفع الظلم ، وهل كان التشريع البشري باستحلال وطئهن اغتصابا وعدوانا كان لرفع الظلم عنهن ؟! وما بال استرقاق البشر من الأسرى وبيعهم بأسواق النخاسة الذي تم بكل الفتوحات برفع الظلم عن المظلومين ؟! وما بال نهب الدور والقصور برفع الظلم؟؟!!

وزعموا بأن الفتوحات كانت تتم لما كان يتم منع الدعوة لعبادة الله من دخول البلاد فكان لابد من الفتوحات ..؟؟!!. فما بال تلك الفتوحات ، وقد أمر الله أن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟!

وما بال سيف الفتوحات والجيوش والدروع وقد أمر الله بعدم إكراه الناس حتى يكونوا مؤمنين ..! وما بال الدعوة إلى الله تتم بالسلاح بينما يقول الله : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)

وزعموا بأن الفتوحات كانت لغة العصر ساعتها .. يعني كلامهم أن الصحابة كانوا يقومون بالقتال بلغة العصر وتناسوا لغة القرءان .. كفاكم خرافات في الردود بلا إدراك .

نحن نتكلم عن الصحابة والتابعين الذين تتخذونهم قدوة بينما هم خالفوا النصوص القرءانية .. فهل كانت مخالفة النصوص القرءانية هي لغة العصر ساعتها .. لذلك فإن دفاع الفقهاء عن الفتوحات إنما هو عين الفسق والخروج عن طاعة الله وقرءانه ، وهو نوع من التطاول على القرءان وجحد

•متى تستفيق هذه الأمة من إغماءاتها، ومتى نسلم لرب العالمين كما أراد ربنا بالقرءان الكريم؟

آياته .

وأن اعتبارهم أن الفتوحات بطولة إنما يعني تحجر افئدتهم وسيطرة الشياطين على أدمغتهم، وإن نشرهم تلك الأفكار على أنها بطولة إنما هو نشر لشريعة الشيطان وطمس الشريعة الرحمن . ولم يمنعهم قلة حيائهم عن القول بأن الإسلام جاء بالسلام، فكيف يجتمع سيف الفتوحات والسلام في قراب واحد؟! لسنا أمة من المعاتيه حتى تتم مخاطبتنا بتلك الأهازيج ...

لكن من قاموا بالفتوحات هم الذين انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله وهم أول من خاطبهم الله عز وجل قائلا : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّه شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّه الشَّاكِرِينَ ١٤٤) (آل عمران ١٤٤)

وعلى ذلك فإن كنوز كسرى وقيصر التي يفخر الفقهاء بأن أجدادهم قد استولوا عليها إنما هي صورة من صور اللصوصية في حروب العصابات ، لأن هناك فرق بين الغنائم والأسلاب .. فالفقهاء لا يمايزون بينهما ... فالغنائم المباحة هي الموجودة بميدان القتال فقط كدرع العدو ، أو فرسه ، أو دبابته ، أو سلاحه . أما دخول الدور والقصور والاستيلاء على موجوداتها فهي لصوصية لم يأمر بها الله .. خصوصا إن كانت في حرب هجومية حرمها الله ... فالحروب في الإسلام كلها دفاعية وأما العدوان فهو ممنوع .... أذكر لكم هذا لعلكم تقومون بوعظ هؤلاء الفقهاء الضالين ، ومعاهد نشر الضلال التي تعلموا بها لينتهوا عن معتقداتهم ، وليعلموا بأنهم تعلموا علوم الضلال بينما هم يحسبون بأنهم تعلموا علوم الهداية .

لولا الفتوحات ما كنا مسلمين ... يتنطع أهل الفسق من الذين لا يهمهم مخالفة الفتوحات الإسلامية للقرءان بأنه لولا الفتوحات ما كنا مسلمين ، ولهذا فهم يحملون كل الإمتنان للغزاة الفاتحين العرب أن لهم الفضل في إسلامنا .

ومن جانبي فأنا أحب التنويه بأن هؤلاء الفاسقون الذين ورثوا الإسلام على جثث وأشلاء ودماء الضحايا من أجدادهم ، وعلى حساب عمليات اغتصاب فروج أصولهم من النساء ، وفقا لعمليات السلب وبيع الأطفال صبيان وبنات بأسواق النخاسة، وسرقة البيوت تحت مسمى الغنائم ، ثم بعد هذا كله يريدون مني ومنك أن نحمد للفتوحات أن جعلتنا مسلمين .

فهل ترتضي أن تكون مسلم على أنقاض من اغتصاب فروج أصولك من الإناث، أو نهب بيوتهن ، أو سرقة أولادهن وبيعهم بالأسواق واستعمالهم في كافة الأغراض الدنيئة باسم الإسلام وباسم الله أكبر؟!

أيصح لك أن تفخر أم يجب عليك أن تذوب خجلا ؟! يا إبن العفيفة المغتصبة ، بل لعلك لقيط من اللقطاء.. فهل يصح لك أن تقول : «لولا الفتوحات ما كنا مسلمين»... أم تلعن الفتوحات والذين قاموا بها والمدافعين عنها .

عار عليك تكرار كل ما يقوله كل ناعق لتدافع عن مخالفات الأقدمين لكتاب الله؛ فاخرج خارج ذلك القطيع وكن كريماً ، وعش عزيزاً ولا تنظر خلفك لتقوم بتعظيم السقطة والفسقة ممن خالفوا كتاب الله ... واعلم بأن إسلامك إنما هو هداية من الله وليس منة من الغزاة ... ولا تقل أبدا ما يقولونه : « لولا الفتوحات ما كنا مسلمين، فذلك خروج عن العقيدة والقرءان .

وصدق الله القائل: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّه يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ١٧) (الحجرات ١٧)

ليس لله سيوفا مسلولة....

بالقراءة في كتب التراث ومرور العمر عبر السنين تبين أن عقيدة ومفاهيم مشايخنا وأئمتنا الذين كانوا يفخرون بلقب «سيف الله المسلول » إنما كانت داعشية .. بل وقاموا بالترويج بالفخر لهذا اللقب ... وتم تربية المسلمين أجيالا وراء أجيال على تلك

الداعشية والفخر بإنجازاتها ...

ثم بعدها تجدنا نلوم على أمريكا التي لم يكن لها وجود حين ترعرعت الداعشية في ربوع الإسلام برعاية كاملة من فقهائنا وعلمائنا وأئمتنا الذين لم يكونوا يدركون ولا يفهمون مدى اختلاف الداعشية عن أهداف وكلمات القرءان الكريم ... ومع هذا فنحن لا نزال نعتبرهم علماء الإسلام .

كيف يكون الله الرحمن الرحيم الغفور الودود سيفا مسلولا ؟!

كيف يكون هناك سيفا مسلولا لمن أراد للدعوة الإسلامية أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ؟!

وما أمر الله بأن تسل السيوف على المخالفين في العقيدة..

وكيف لمانح الحياة من الميلاد حتى الممات أن يكون له سيفا مسلولا يسلب به الحياة.؟؟!!.

إن الذي اخترع لقب أن خالد بن الوليد كان سيفا مسلولا إنما كان يؤازر الدعوة لله بالسيف التي خرجت بها بعض الصحابة عن دين الله الداعي أن تكون الدعوة للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولكي يحمي الانحراف البشري المبتدع عن منهج الله .... فالقتال في دين الله دفاعا فقط والله لا يحب المعتدين (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠) (البقرة ١٩٠)

فمتى تستفيق هذه الأمة من إغماءاتها ، ومتى نسلم لرب العالمين كما أراد ربنا بالقرءان الكريم.

لا قتل في القرءان الكريم ...

سألتني الأخت الكريمة Arwa Ahmed .. عن قوله تعالى : .. (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) ..... من أنها دعوة للقتل فأجبتها بما يلي : عار على المسلمين بالقرن الحادي والعشرين أن يقرءوا أية دون النظر إلى السياق الذي وردت به .. فهذا فعل أعداء الإسلام والكارهين للقرءان .

نعم وفعلا قال الله : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) . ونعم قال تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) . لكنه ليس أمرا بالقتال عدوانا بل هو أمر بالقتال دفاعا .. بل مع التوصية بالتقوى وعدم الاعتداء لأن الله لا يحب المعتدين ...

ولكي تفهمي الأمر لابد أن تقرأي آيات من سورة البقرة .... فهل تستكثرين على نفسك قراءة «٧» آيات لتفهمي الموضوع ..!!؟.

إنها الآيات من ١٩٠ حتى الآية ١٩٦... وإليك الآيات السبعة وستفهمين منها بأن الأمر بالقتال كان لرد العدوان وليس قتلا لمجرد القتل ... ولا لأن ديننا عدوانية ... حيث يقول تعالى :- (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ١٩١ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٩٢ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ١٩٣ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ١٩٤)

وأخيرا تقبلي تحياتي وتقديري...

المغانم والأسلاب وفقه القتال في الإسلام ... أن ينسب السلف في تراثهم المخبول أن النبي كان يقوم بتوزيع نساء الكافرين على الصحابة بعد الغزوات، فذلك عدوان على السيرة العطرة للرسول.. وتلك دعارة فقهية وليست المغانم التي عناها القرءان حين قال تعالى بسورة الفتح : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٩ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢٠ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا

عَلَيهَا قَد أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرا ٢١)

وأن تكتب كتب التراث بأن النبي وعد فلان من الصحابة بسواري كسرى وقيصر فذلك افتراء على رسول الله .. فتلك أسلاب وقرصنة وهي نوع من السرقة وليست مغانم حرب .. فهناك فرق بين المغانم والأسلاب.

أعلم تماما كمقاتل بأن أستولي على دبابة العدو، وعلى حصونه وقلاعه التي كان يرميني منها وما بها من متاع .. فتلك هي المغانم التي عناها القرءان. . أي أنها موجودات ميدان القتال .. والقتال في الإسلام دفاعيا فقط وعلى ذلك فلا يمكن للمقاتل المسلم الوصول إلى نساء العدو وأمتعته المعيشية الموجودة ببيته.. فهذا حال اللصوص ولم يكن النبي وأصحابه لصوصا .. إنما اللصوصية حدثت فعلا من الصحابة بعد موت رسول الله .. وبعدها تم تأليف السيرة النبوية والافتراء على رسول الله بها . لكن أن يقوم المسلمون بسلب الدول المفتوحة وجمع الذهب والأموال ، وأن يقتاد الأطفال عبيدا في بلاط خليفة المؤمنين ، ويتم توزيع النساء سبايا فليس هذا بدين سماوي لكنها القرصنة في أحط دركاتها . والمصيبة أن تحكي كتب التراث بأن يتم جمع الأسلاب في مسجد رسول الله لحين تقسيمها من المسجد الذي تأسس على التقوى من أول يوم ، وذلك كما يقصون عن عمر بن الخطاب أنه فعل في الذهب والأموال التي استلبها المسلمون بعد مذبحة جلولاء بشمال العراق ، فهل هذا إسلام الله الوارد بالقرءان أم إسلام الانحراف الشيطاني .

لقد منع الله أن تكون الحرب وسيلة للرقيق وذلك من قوله تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) (محمد ٤) فالحرب بالإسلام شرعت دفاع ولم تشرع هجوما ، وليس هناك اعتداء بعد أخذ الحقوق وذلك لقوله تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠) (البقرة ١٩٠) فهل الاستيلاء على نساء الغير ووطئهن أو بيعهن ليس عدوانا ..؟؟!!. وهل الاستيلاء على أطفال الغير وبيعهم ليس عدوانا ..؟؟!!.

إن مجرد وجود أسرى من الكافرين في أيدي المسلمين الذين قاتلوا دفاع إنما هو يمثل جريمة شرعية ، وإلا فما معنى قوله تعالى عن الأسرى : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) .. إنه يعني إما أن نطلق سراح أسرى الكافرين بلا مقابل ، أو يفتدون أنفسهم بالمال أو بغير ذلك ، لكن لا يتم بيعهم والاستيلاء على نسائهم وأطفالهم بعد وفاة رسول الله علة فذلك دين إبليس الذي كان عليه السلف الذي تسمونه صالحا . ومع عدم فهم الفقهاء للإسلام فقد انتهت المملكة العربية السعودية عن الرق في ستينيات القرن الماضي، كما عارض الأزهر اتفاقية منع الرقيق حتى أذعن لأوامر الخديوي ، فتم إعتاق الرق من منظور سياسي، رغم أنه كان من الأولى إن كان لدينا فقهاء أن يتم تحرير الرق من منظور ديني . أما المسلمون الذين قاتلوا هجوما فهم قد خانوا الله ورسوله ، واتبعوا أهواءهم ، وجماع كل ما ذكرت هو فقه القتال في الإسلام، وغيره يكون إفسادا في الأرض باسم دين الإسلام سيحاسبكم الله عنه .

• كيف يكون هناك سيفًا مسلولًا لمن أراد للدعوة الإسلامية أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة؟!

قراءة في كتاب

الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن

محمد أبو زيد الدمنهوري

مقدمة كتاب الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن

لقد أردت أن يكون من عملي في تفسير القرآن بعد بلوغي الأربعين من عمري، وإني أرجو الله الذي وفقني لهذا العمل أن يبلغني المقصود به بنفع الناس به نفعًا يُظهر فضل الدين في حياة المجتمع.

والناس من غير الدين لا يمكنهم أن يحددوا المصالح، ولو أمكنهم فإنهم يحتاجون إلى زمن طويل، ولا يتفقون عليها بعد ذلك لما لهم من الشهوات والأغراض.

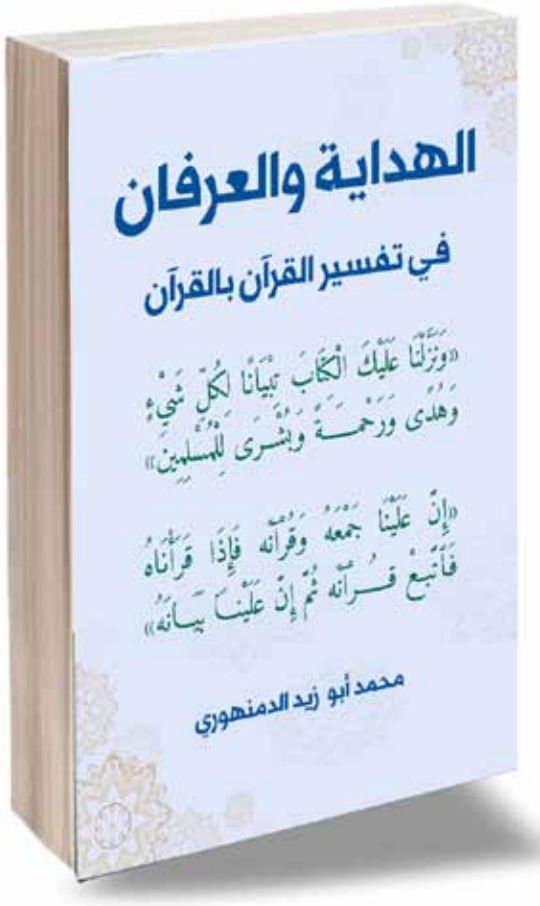

فالدين يوفر عليهم الوقت في تحديد المصالح، ويوفق بينهم فيها، ويحملهم على العمل بها، فيستفيدون منه علمًا وهداية.

..... وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ- (البقرة ٢٣١)

بعث الرسل مُجددين ومُصدقين

ولقد كان من فضل الله بعث الرُسل لكل الأمم، فإذا مات رسول ونسي الناس تعاليمه أو خللوها بالخرافات والبدع، جاء رسول آخر يجدد لهم الدين، ويُصدّق من سبقه من الأنبياء والمرسلين، وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ- (النحل ٣٦).

فالدين في الأصل واحد، وهو دين الله، ولو أنصف الناس وتركوا التعصب للتقليد لرجعوا كلهم إلى ذلك الدين، ولعلموا أن دين الله لا يتضارب ولا يتناقض.

القرآن يصدّق الكتب

ولما كان القرآن آخر الكتب الإلهية، كان واجبًا على الناس أن يرجعوا إليه لمعرفة حقيقة الدين.

والقرآن هو الذي حُفظ بما لم يُحفظ به غيره، لأن الله يريد أن يجعله دائمًا، وقد كانت الكتب السابقة في زمن أممٍ لم تنضج النضج الكامل، فكان التشريع على قدر عقولها وأحوالها الاجتماعية.

حتى إذا نضجت الأمم وتم استعدادها جاءها القرآن بالتشريع الكامل، فهذه هي الحكمة في حفظ القرآن وبقائه من غير نسخ ولا تبديل.

وإنه فوق تشريعه الاجتماعي الكامل، جاء بأصول الكتب السابقة كلها، فهو مصدّق لها وداعٍ إليها، والذين يؤمنون بها يؤمنون به.

حالة المسلمين

ربما يعترض بعض الناس ويقول: إذا كان القرآن قد جاء بأصول الاجتماع الكاملة، فلماذا نرى المسلمين على حالتهم هذه المتأخرة؟

فالجواب: أن هؤلاء المسلمين قد بعدوا عن القرآن ولم يعملوا به، ففريق منهم لم يفكر فيه واكتفى منه بالانتساب إليه، والفريق الآخر- الذي يظن أنه متمسك به- بعد عنه من جهة الخطأ في التعاليم.

والتفاسير

وقد بلغ الدس والحشو في التفاسير، أنك لا تجد أصلًا من أصول القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله.

والمفسرون قد وضعوا هذا في كتبهم من حيث لا يشعرون، وقد جعلوا الاصطلاحات والمذاهب الفقهية والكلامية أصولًا حكموها في القرآن، وأنزلوه عليها حتى صار ميدانًا للجدل، وأصبح غير صالح للحياة بما حملوه من أثقال، وبما وضعوا فيه من الجمود والعراقيل، ووسائل التفريق والشقاق.

فهدايته فُقِدَت بالمجادلات في الألفاظ والمذاهب، ومعانيه ومقاصده ضاعت بالروايات الناسخة والتفسيرات المتحجرة العقيمة.

ولم يخل تفسير من هذا، لأن المفسرين يقلد بعضهم بعضًا.

ولقد وصل التقليد بهم إلى حد أني قرأت في بعض المسائل خمسين تفسيرًا مطبوعًا ومخطوطًا، فلم أر في واحد منها غير الذي رأيته في الآخر مما يرجع أصله إلى رواية مكذوبة أو رأي ميت لا يصح أن يكون تفسيرًا لكلام الله.

وقد تغيرت معاني القرآن أيضًا وتبدلت مقاصده، باعتماد المفسرين على بعض كتب اللغة التي تفسر الألفاظ بلازمها، وتقصرها على بعض معانيها.

وقد سرى التقليد واستعمال الاصطلاحات في قواميس اللغة كما سرى في غيرها، حتى إنك لتجد كثيرًا من ألفاظ القرآن في تلك القواميس مفسرة بما فسرت به في كتب فقه الأحكام، فتكون بذلك بعيدة عن فقه اللغة فيتغير معناها المراد في القرآن.

تفسيري وطريقتي فيه

فهذا كله دعاني إلى تفسيري، وأن تكون طريقتي فيه كشف معنى الآية وألفاظها، بما ورد في موضوعها من الآيات والسور، فيكون من ذلك العلم بكل مواضيع القرآن، ويكون القرآن

هو الذي يُفسّر نفسه كما أخبر الله، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع.

وقد اخترت أن يكون على عدد الآيات في المصحف لتبقى الهداية بالترتيب الذي اختاره الله، وليمكن الباحث عن معنى الآية أن يلاحظ سياقها، فيقرأ ما سبقها وما لحقها من الآيات، ليكون على علمٍ تام وهداية واعظة.

بهذه الطريقة في التفسير لا تجد شيئًا يشغلك عن القرآن، وإنما تنتقل منه إليه لتجمع مواضيعه، وتوفق بين آياته، فيكون كل تفكيرك وتدبرك محصورًا فيه، فتعظم بمعلوماته، وتهتدي بهداه.

فهذه كانت سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أي طريقته في القرآن، وهي الحكمة المذكورة في قول الله: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ- (البقرة ١٥١)

فالكتاب هو القانون الجامع لمواد الأحكام، وإن شئت فقل إن الكتاب دستور فيه كل شيء من أصول القوانين، وهو المرجع لأهل التشريع في كل عصر فيما يتجدد من حوادث: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ- (النحل ٨٩).

والسنة هي الطريقة العملية في تطبيق الكتاب، فوظيفة الرسول تبليغ الكتاب وهداية الناس بالعمل به، فالرسول إمام للناس يتقدمهم في العمل بما يدعوهم إليه.

وهذه حكمة الله في أن القوانين والمبادئ لا تكون لها قيمة إلا إذا كان أصحابها والداعون إليها أول العاملين بها.

أمّا إذا كان واضع القانون فوق القانون، أي يحاسب الناس بما وضع ولا يحاسب نفسه، فإن القانون تضيع هيبته ولا يكون له أثر في النفوس: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا- (٢١ الأحزاب).

العلماء ورثة الأنبياء

والواجب أن يكون في كل عصر علماء يرثون الرسول في الإمامة، يجتهدون في تطبيق أصول القرآن على ما يتجدد من حوادث المعاملة، ليكون للأمة على الدوام عزتها من التوحيد، وتقوى رابطتها بين دينها ونظامها الاجتماعي.

فبهذا يصير الدين من مقومات الأمة، وإنّ إقبالها عليه وعملها به يكون بمقدار ما تشعر به من حاجتها إليه ونفعها منه.

مزايا القرآن

بلاغة الأسلوب الذي به يقوّم الإنسان لسانه وقلمه، وبه يبلغ ما يريد من نفس السامع.

خطاب جماعة الأمة في الأحكام الاجتماعية، بما يجعل الأمة متضامنة في الأعمال فيظهر مسؤوليتها، ويقرر سلطتها.

تعقيب الآيات بما يناسب من صفات الله كعليم حكيم، وعفو قدير، وشديد العقاب، وغفور رحيم، وكل شيء عنده بمقدار، ليستقر المعنى في النفوس باستحضار عظمة الله، وتقوية علاقته به، وليكون للإنسان من ذلك اقتداء بربه في خلقه ونظامه.

تعظيم شأن العقل وجعله أساسًا لفهم الأحكام، وسير الأمور والأعمال.

إعلاء النفوس وإعزازها بتوحيد الله، وعدم الذلة للمخلوق.

تقرير حرية الاعتقاد، والقضاء على الرياسة الدينية حتى يكون الخضوع في الدين لله بوازع من النفس لا بالضغط والإكراه.

رفع شأن الإنسان بالمساواة بين جميع الطبقات، وجعل الامتياز للأتقى في العمل.

هدم التقليد الذي يقضي على استقلال الفكر، ويضعف الاستعداد الفطري في البحث والاستنتاج.

الجزاء على العمل بمقدار تأثيره في النفس، لا بالفدية والشفاعة.

بيان السنن العامة، وهي النواميس والأنظمة الطبيعية، بالبحث فيما يفهم القدر والميزان، وينكشف العلم، ويزداد الإيمان.

هيمنته على الكتب بالحكم على الأبحاث الفلسفية، وتقرير الصحيح من المذاهب، وجمع

الناس كلهم على طريقة مرضية تجمع خلاصة الكتب، ولا تفرق بين أحد من الرسل.

ذكر ما فيه الفائدة والعبرة من القصص والحوادث.

هدايته العامة وأحكامه المنطبقة على مصلحة كل شعب في كل زمان ومكان، بخلاف القوانين التي يدخلها النسخ والاثبات كل يوم، حتى إن المملكة الواحدة لتراها تحكم بعدة قوانين وضعية.

تشابه معانيه، ليستع مجال الأفهام فيه.

تكريره المسائل ومزجه القصص بالأحكام لينفخ روح الهداية بصور مختلفة، والنفوس تتأثر بالشيء بمقدار تكريره، وتجديد ذكره.

بناؤه الحكومة على الشورى، وتقرير سلطة الأمة، للقضاء على الاستبداد وحكم الفرد الذي يضعف الإرادة، ويولد النفاق والجُبن.

تخييره الإنسان بين الانتقام بالعدل من المسئ، والعفو عنه، بما تدعو إليه المصلحة، حتى تنتشر العزة في النفوس، ويذوق كل امرئ لذة فضله وجهاده.

نظامه الاجتماعي، وتأسيسه على الفضلية، وحسن المعاملة.

كتاب يؤاخي العلم ويسير مع الفطرة، يقنع العقل بالحجة، ويؤثر في النفس بالموعظة الحسنة.

كتاب يجمع بين صلاح الروح والجسد، فيضمن للناس السعادة في الدنيا والآخرة.

هذا وإن القرآن بهذه المزايا جدير بالعناية، ولتعلم أن الله سمّاه قرآنًا ليُقرأ على الدوام، ليكون خُلقًا ومَلَكة في النفس، لا ليكون كالقوانين تراجع مواده عند الطلب، وإن في دوام القراءة تجديد الأفهام الداعية إلى إحياء العلم وبعث الهداية.

اختلاف الأفهام في القرآن لا يدعو إلى الشقاق والتفرّق

ومن الغريب أن يكون لنا في القرآن هذه المزايا ونُعرض عنه ولا نتمسك به، ثم الأغرب أننا نتفرق فيه، فإذا رأى بعضنا رأيًا، أو فهم فهمًا، انقض عليه المخالفون باللعن والطعن، ولقد كان هذا التفرق من أعظم الأسباب التي خذلت المسلمين، وجعلتهم مملوكين لغيرهم.

والواجب أن يفهم المسلمون أن القرآن شائع مشترك بين الناس، وأن من آياته الدالة على أنه من عند الله اتساعه للأفهام، وتحمله لاختلاف الآراء والأنظار في كل زمن، وهذا معنى أنه متشابه، أي إنه من تعدد المعنى يتشابه، ويختلف على الناظرين.

ولا يضر الناس اختلافهم في المعاني والأفهام ما داموا يرجعون إلى المحكمات من الأصول والأمهات، أي يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويعملون الصالحات.

التفاسير ترجمة للقرآن وليست حجة عليه

ولنعلم بعد ذلك أن القرآن فوق الأفهام والتفاسير جميعها، بمعنى أنه لا يمكنها حصر معانيه ولا تحديد مراميه، فهي ترجمة له، وليست حجة عليه.

وإن آراء المفسرين تابعة للبيئة والظروف المحيطة بهم، وهذه تتغير وتتجدد، فالجمود على آراء فاتها الزمان مؤخرة للأمّة، وجعل القرآن مقيدًا بهذه الآراء ضارٌ به، لأن ذلك يجعله غير صالح لكل وقت فيضيق سعته.

الواجب الختامي

والواجب أن كل إنسان يعمل في خاصة نفسه بما يفهمه ويقتنع به، ولا يكون تابعًا لأحد بغير برهان.

وأما الأمور العامة، والمسائل الاشتراكية المتعلقة بالأمة والدولة، فمرجعها أهل الشورى من العلماء، فإن الذي يقررونه فيها باجتهادهم وتطبيقهم هو الواجب اتباعه والعمل به، ولا يجوز لفريق من الأمة أن يشذ عنه، لبقاء وحدتها، وانتظام اجتماعها.

والعلماء العاملون هم الذين يحببون الأمة في الدين بما يبينون من انطباقه على المصالح في كل زمن.

والأمة جميعها، راعيها ورعيتها، مسؤولة عن تنفيذ أحكام دينها، ومتضامنة فيما يصيبها من الإهمال والتقصير في ذلك.

وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ- (لقمان: ٢٢)

قضية العدد

مآلات «القاعدة» بعد مقتل «الظواهرى»

حسين القاضي

ظلت أمريكا أكثر من عشرين عاماً تطارد أيمن الظواهرى، زعيم تنظيم القاعدة، حتى تمكنت من قتله بغارة نفذتها طائرة بدون طيار فى «كابول»، بعد أن توقع بعض الباحثين أن قضية الإرهاب لم تعد تحظى بأهمية كبرى لأمريكا بعد انسحابها من أفغانستان، ثم الحرب الروسية - الأوكرانية، وجاءت العملية فى توقيت ذى مغزى، قبل احتفال «طالبان» بمرور سنة على الحكم، بما يعنى أن انسحابها من أفغانستان لا يعنى تخليها عن مواجهة الإرهاب المعولم.

«الظواهرى» هو صاحب الدور التاريخى فى بلورة تنظيم القاعدة، وعلى يديه وقعت العمليات الإرهابية الكبرى، ومقتله تترتب عليه آثار محتملة منها:

١- تآكل طبقة المنظرين والشخصيات الملهمة فى وجدان الشباب الجهادى، ولم يبق إلا القليل، وهذا لا يعنى التضخيم من غياب «الظواهرى»، لأنه ما كان له فى السنوات الأخيرة إلا الرمزية، فلم يعالج انشقاقات التنظيم، وفشل فى صراعه مع «داعش»، وانشقاق فرعى سوريا والعراق، وتصاعد خلافات التنظيم فى اليمن، وانشغاله أخيراً بمسائل فرعية مثل الفتاة التى تعرضت لخلع حجابها.

٢- أتصور أن يلجأ التنظيم إلى الإرهاب المستقل، أو الانفرادى، أو الإرهاب دون قيادة، أو الذئاب المنفردة؛ رداً على مقتله، على أن البعض يخلطون بين الذئاب المنفردة والإرهاب الفردى، مع أن الأول يقوم به فرد أو مجموعة دون ارتباط بتنظيم، والثانى يكون مرتبطاً بتنظيم.

وفكرة «جهاد الإرهاب الفردى» أسس لها تنظيم القاعدة من خلال كتاب (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)، وهو كتاب يمثل مرجعية لـ«القاعدة»، ومؤلفه أبومصعب السورى، ويعزز من هذا الاحتمال: نجاح «القاعدة» فى تنفيذ مثل هذه العمليات، وافتقار الهياكل الأمنية الأمريكية (وغير الأمريكية) فى مواجهة هذا النوع من العمليات الإرهابية التى يتميز بها «القاعدة»، حيث لا يوجد حتى الآن -وفق بعض الدراسات- وكالة

رئيسية متخصصة فى أمريكا منوط بها مجابهة هذا النوع من الإرهاب المستقل، فضلاً عن وجود قيود قانونية كبيرة بحجة عدم الحد من حرية الأفراد.

٣- وجود «الظواهرى» فى «كابول» تحت حماية «شبكة حقانى»، وهى شبكة حليفة لـ«طالبان»، يؤكد أن «طالبان» ما زالت تتقاطع من التنظيمات الإرهابية، مما يترتب عليه -مع عوامل أخرى- تأخر الاعتراف الدولى بها، خاصة أن أمريكا اتهمت «طالبان» بخرق اتفاق الدوحة وإيواء الإرهابيين، وتفسيرنا لاحتمالية هذا التقارب بين «طالبان» و«القاعدة» راجع لمحاولة «طالبان» توظيف «القاعدة» ضد تنظيم داعش، المتمثل فى (ولاية خراسان فى أفغانستان)، الذى يمثل أكبر تهديد لـ«طالبان»، وتنظر «القاعدة» إلى «داعش خراسان» على أنه عدو.

٤- احتمال ضلوع «طالبان» فى الاغتيال -حال ثبوته- سيلقى بظلاله على العلاقة بين «القاعدة» و«طالبان»، فقد تنتهزها «طالبان» فرصة للتخلص من «القاعدة»؛ سعياً منها للحصول على الاعتراف الدولى، وإلغاء تجميد الأموال الأفغانية، وهنا تدخل العلاقة بين الطرفين فى مسار صدامى عنيف بعد ٣٠ سنة من التوافق والتقاطع.

٥- أبرز محطات التحول بعد اغتيال «الظواهرى» ستتحدد وفق طبيعة القائد الذى سيخلف «الظواهرى»، ومن خلاله تتحدد طبيعة النشاط المسلح للتنظيم وخريطة الانتشار، فالتوقعات تشير إلى وجود خمس قيادات مرشحة، كل قيادة يُقرأ من خلالها مستقبل «القاعدة» بشكل مختلف، على رأسهم «سيف العدل»، الذى أنشأ أفرع التنظيم فى أفريقيا، ويحظى بدعم إيران، وفى حالة توليه سيكون السؤال المهم متعلقاً بمدى إسهامات إيران فى توجيه بوصلة التنظيم فى المستقبل؟

قضية العدد

هل للنبيّ سُنّة؟

محمّد حسن بدرالدّين

باحث تونسي

وردت كلمة سُنَّة في القرآن ثلاث عشرة مرّة مفردة، ومرّتين جمعا. وقد وردت مضافة إلى اللّه تعالى: سنّة اللّه، وإلى الأوّلين: سنّة الأوّلين، ولم ترد مضافة إلى النبيّ أو الرّسول. وليس في القرآن تركيبات من قَبيل: سنّة النبيّ أو سنّة الرّسول أو سنّة محمّد. ومع ذلك، فالسّؤال الذي يطرحه البحث: هل للرّسول سنّة؟ وخاصّة في مفهومها التشريعيّ؛ أي هل لنبيّ من أنبياء اللّه ورسله أن يشرّع شيئا في دين اللّه؟ وهل شرّع نبيّ قبل محمّد؟ وهل شرّع محمّد؟

ما يشجّع على طرح تلك الأسئلة هو الغموض المتعلّق بالموضوع؛ فما نقرؤه وما نسمعه عن طبيعة السنّة النبويّة، واختلاف الآراء حولها، وتقسيمها إلى تشريعيّة وغير تشريعيّة، يجعل الطّرح الإشكالي لهذا الموضوع وجيها ومطلوبا.

ولا تهمّنا السنّة غير التشريعيّة في هذا البحث، فهي ليست محلّ إشكال. وقد عرضنا آراء القدماء والمعاصرين في هذه المسألة، وركّزنا على المدخل اللغويّ تعريفا، ومقارنة النّصوص تحليلا ونقدا.

تعريف السنّة:

نبدأ بعرض رأي (الشّوكاني (- ت١٢٥٠هـ في تعريف السنّة، وهو في حدّ ذاته مثال على الاختلاف أو الإشكال المطروح، حيث قال: «وأمّا معناها شرعا، أي في اصطلاح أهل الشّرع، فهي قول النبيّ وفعله وتقريره. وتطلق بالمعنى العامّ على الواجب وغيره في عرف أهل اللّغة والحديث. وأمّا في عرف أهل الفقه، فإنّما يطلقونها على ما ليس بواجب. وَقِيلَ فِي حَدِّهَا اصْطِلَاحًا هِيَ: مَا يُرَجِّحُ جَانِبُ وُجُودِهِ عَلَى جَانِبِ عَدَمِهِ تَرْجِيحًا لَيْسَ مَعَهُ الْمَنْعُ مِنَ النَّقِيضِ. وَقِيلَ هِيَ مَا وَاظَبَ عَلَى فعله النبيّ، وَقِيلَ هِيَ فِي الْعِبَادَاتِ: النَّافِلَةُ، وَفِي الْأَدِلَّةِ: مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ».

كلام الشّوكاني هذا يدلّ على أنّ المحدّثين والفقهاء اعتمدوا الحديث مرجعًا للتّشريع، وجعلوا للدّين تبعا لذلك مرجعين: الأوّل: القرآن، والثّاني: ما سمّوه سنّة النبيّ. وقسّموا الدّين كلّه تبعا لذلك، إلى نوعين: الأوّل: الفرض، والثّاني: السنّة، ممّا يجعلنا نطرح سؤالا نراه مهمّا، وهو: هل الفقه الإسلاميّ المتوارث، والمطبّق برمّته، هو فقه النبيّ أم فقه المحدّثين؟

رجعنا إلى كتب اللّغة لتحديد مفهوم السنّة، بعيدا عن مفهوم الفقهاء، فوجدنا تعريفات كثيرة، اخترنا منها تعريف (الزّبيدي - (ت١٢١٥هـ) الذي قال في كتابه تاج العروس: «السنّة: السّيرة حسنة كانت أو قبيحة. والسنّة الطّريقة المحمودة المستقيمة، والسنّة: الطّبيعة، والسنّة في الأصل سَنَة الطّريق وهو طريق سنّه أوائل النّاس، فصار مسلكا لمن بعده».

نلاحظ أنّ التّعريف اللّغوي مستقلّ بكيانه، وبعيد من حيث التّوجيه عن التّعريفات الفقهيّة المعقّدة بالحدود والمصطلحات، ولكنّنا وجدنا مصطلحا آخر جعله الفقهاء مقابلا للسنّة، وهو البدعة، بينما السنّة نفسها هي بدعة من ناحية التّاريخ ونشأة المصطلح؛ فكلّ منهما يتمثّل في أمر حدث في مجتمع، ولم

يكن موجودا من قبلُ، سواء أكان ذلك الأمر حسنا أم قبيحا، نافعا أم مضرّا، موافقا لعرف المجتمع وقيمه وأخلاقه أم مخالفا.

لن نتعرّض إلى تعريف السنّة اصطلاحا نظرا لتعدّد تعاريفها؛ إذ هي تختلف باختلاف المرجعيّة المعتمدة؛ ذلك أنّ للأصوليّين تحديدهم الاصطلاحيّ للسنّة، وللمحدّثين تعريفهم الخاصّ. وللفقهاء تعريف ثالث مختلف، ولغيرهم جميعا أقوال عدّة. وقد فُسّر ذلك الاختلاف بتفسيرات عديدة هي نفسها لا تتّفق على شيء.

والسّؤال المهّد لهذا الموضوع هو: هل شرّع نبيّ قبل محمّد؟

ننظر أوّلا في الآية الآتية من سورة آل عمران: كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٩٤).

إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فهو نبيّ ابن نبيّ، وقد أعلمنا اللّه تعالى أنّ التّوراة لم تنزل بعدُ. والتّوراة المعنيّة في الآية، ليست توراة اليهود في العهد القديم الشّائعة، وإنّما هي صحف موسى الّتي أخذها موسى في الألواح.

استعمل القرآن مصطلح التّوراة؛ لأنّ عزرا الكاتب أو الكاهن (Esdras) سمّى كتابه الوضعيّ التّوراة. وتوارث اليهود تلك التّسمية.[٣]

فلا علاقة في الحقيقة لتوراة اليهود المنسوبة إلى عزرا بإبراهيم ولا بموسى ولا بإسحاق وابنه يعقوب. كانت صحف إبراهيم هي كتاب اللّه، والإسلام هو دين اللّه، ولا ندري ما في صحف إبراهيم ولا ندري أيضا ما حرّم اللّه من طعام على المسلمين، ومن ضمنهم بنو إسرائيل.

فماذا عالجت الآية إذن؟

يبدو أنّها اهتمّت بتصحيح دلالة مصطلح التّوراة، ويبدو أيضا أنّ أحبار اليهود في المدينة أثاروا جدلا، كعادتهم في نقد القرآن والاحتجاج بأسفارهم الوضعيّة، حول بعض المحرّمات من الأطعمة في العهد القديم لم يحرّمها القرآن على المسلمين.

وحسمًا لذلك الجدل اليهوديّ، أمر اللّه أحبارهم: فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وليس لليهود إلاّ توراة عزرا. وما زاد عليها أحبارهم أو ما حذفوا منها أو ما حرّفوا منها. واللّه تعالى يريدهم أن يأتوا بصحف موسى، وهذا مستحيل عليهم؛ لأنّ توراة موسى اندثرت تماما إثر وفاة موسى، فكأنّ القرآن ينفي مطلقا أن تكون التّوراة اليهوديّة هي توراة موسى.

وقوله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ إفحام لأحبار اليهود في المدينة، فهم يعلمون أنّ أسفارهم ليست توراة موسى. ومن ناحية ثانية، ليس لهم أيّ دليل قطعيّ على ما حرّم إسرائيل على نفسه، وهم يعلمون أنّ إسرائيل، وهو يعقوب، حرّم من تلقاء نفسه بعض الأطعمة على نفسه.

ولا يعنينا ما حرّم إسرائيل على نفسه من الأطعمة؛ فالأطعمة المحرّمة على اليهود لم يحرّمها يعقوب، وإنّما كهّان بني إسرائيل وأحبارهم الّذين لم يؤمنوا بما أنزل على موسى. وتلك الأطعمة المحرّمة يذكرها الأصحاح الحادي عشر من سفر اللاّويين، والذي يطلق عليه أحبار اليهود اسم: «دليل شرائع التّطهير»؛ ففيه حوالي خمسين فقرة تبيّن ما أحلّه لهم الرّب يهوه لليهود، وما حرّمه عليهم. ومنها، بعض ما حرّم إسرائيل على نفسه، وأكثرها من تحريم الكهنوت اليهوديّ، وممّا حرّم ذلك السِّفر على اليهود لحوم الإبل وألبانها.

ويبدو أنّ ما أثار حفيظة اليهود في المدينة هو أنّ القرآن لم يحرّم لحوم الإبل وألبانها.

توضيح مصدر التّشريع في الدّين الإلهيّ:

لأسباب خاصّة به، امتنع يعقوب عن تناول بعض الأطعمة، وسواء أعلن هو تحريم تلك الأطعمة على نفسه أم لم يعلن، فقد فهم بنوه أنّه حرّمها بمفهوم التّشريع الدينيّ. أمّا بنو إسرائيل، فاعتبروا ذلك شأنا خاصّا، فلم يحرّموا على أنفسهم تلك الأطعمة. وسار الأمر كذلك إلى أن ظهر موسى وأرسله اللّه نبيّا رسولا إلى بني إسرائيل في مصر.

والقرآن يسمّي الّذين آمنوا بموسى: «الّذين هادوا»، ويسمّي الّذين كفروا منهم بموسى وكتابه وآمنوا بعزرا وتوراته: اليهود. وبين موسى وعزرا ثمانية قرون، وبين داود وعزرا ثلاثة قرون؛ فمتى حرّم اللّه على بني إسرائيل ما حرّم إسرائيل على نفسه؟

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) النّساء.

يتّضح من الآيتين أنّ كلّ الأطعمة كانت حلالا على بني إسرائيل في زمن يعقوب، رغم أنّه حرّم بعضها على نفسه. فاللّه تعالى لم يجعل تحريم يعقوب تشريعا إلهيّا، لم يقع التّحريم في زمن يعقوب، ولم يقع التّحريم في زمن داود، ولم يقع التّحريم في زمن يوسف. لقد حرّم اللّه على بني إسرائيل ما حرّم إسرائيل على نفسه في زمن موسى؛ لأنّ الّذين هادوا هم الّذين آمنوا بموسى وخرجوا معه من مصر.

وتبيّن الآيتان أسباب التّحريم، وهو: الصدّ الكثير عن سبيل اللّه، وأخذ الرّبا وأكل أموال النّاس بالباطل. وليس من بين الأسباب تحريم يعقوب على نفسه بعض الأطعمة. وكلّ تلك المحرّمات مذكورة في صحف موسى. لذلك طلب

اللّه تعالى من أحبار اليهود في المدينة أن يأتوا بالتّوراة؛ لأنّها واحدة عند اللّه: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) آل عمران. إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) المائدة. وبذلك يكون عزرا قد قام بسرقة أدبيّة، عندما سمّى سفره التّوراة.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) الأنعام.

بقراءة الآيات السّابقة، تبيّنت لنا المراحل التاريخيّة وما حرّم اللّه على بني إسرائيل، وزمن ذلك التّحريم وأسبابه. وفي هذه الآية ضبط للأطعمة الّتي حرّمها اللّه على بني إسرائيل في زمن موسى.

قال الطّاهر ابن عاشور(ت١٩٧٣) في شأن ما حرّم يعقوب: «ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ، بَلْ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، فَبَعْضُهُ أَرَادَ بِهِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ بِحِرْمَانِ نَفْسِهِ مِنْ بَعْضِ الطَّيِّبَاتِ الْمُشْتَهَاةِ، وَهَذَا مِنْ جِهَادِ النَّفْسِ، وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ الزَّاهِدِينَ، وَكَانَ تَحْرِيمُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ بِالنَّذْرِ أَوْ بِالْعَزْمِ. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الِاجْتِهَادِ لِلْأَنْبِيَاءِ فِي التَّشْرِيعِ لِأَنَّ هَذَا مِنْ تَصَرُّفِهِ فِي نَفْسِهِ فِيمَا أُبِيحَ لَهُ، وَلَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ غَيْرَهُ».

تحيلنا الآية (٩٤) من آل عمران إلى نبيّين آخرين فعلا ما فعل يعقوب.

الأوّل: هو يونس الذي خرج مغاضبا قومه وغادرهم؛ لأنّهم لم يؤمنوا به؟ وحسب بيانات القرآن، فقد ظنّ أنّ من دوره هداية النّاس حسب مزاجه، فحاسبه ربّه فعرّضه إلى امتحان عسير. فعرف يونس ذنبه واستغفر وأناب، وبقيّة القصّة معروفة.

والثّاني: هو النبيّ محمّد، عندما حرّم على نفسه ما أحلّ اللّه له، يبتغي مرضاة أزواجه، وعاتبه اللّه على ذلك: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) التّحريم؛ فهل يمكن أن نجد في ذلك دليلا على أنّ اللّه تعالى اختصّ بالتّشريع، ومنعه على أنبيائه ورسله؟

إشكاليّة التّشريع والمشرّع؟

وردت في القرآن أربع كلمات في مفهوم التّشريع، هي: شَرَع، شَرَعوا، شِرْعَة، شَريعة.

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) الشّورى.

هذه الآية من أغرب الآيات بناء، ومن أعجبها مضمونا، ومن أكثرها إشكالات. وقد تفطّن الفخر الرّازي (ت٦٠٦هـ) إلى ذلك، خلافا للكثيرين من المفسّرين مثل الطّبري وغيره، فقال: «بَقِيَ فِي لَفْظِ الْآيَةِ إِشْكَالَاتٌ أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحا، وَفِي آخِرِهَا وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي الْوَسَطِ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَمَا الْفَائِدَةُ فِي هَذَا التَّفَاوُتِ؟ وَثَانِيهَا: أَنَّهُ ذَكَرَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى سَبِيلِ الْغَيْبَةِ فَقَالَ: مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالْقِسْمَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ عَلَى سَبِيلِ التَّكَلُّمِ فَقَالَ: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ يَصِيرُ تَقْدِيرُ الْآيَةِ: شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَقَوْلُهُ شَرَعَ لَكُمْ خِطَابُ الْغَيْبَةِ وَقَوْلُهُ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ خِطَابُ الْحُضُورِ، فَهَذَا يَقْتَضِي الْجَمْعَ بَيْنَ خِطَابِ الْغَيْبَةِ وَخِطَابِ الْحُضُورِ فِي الْكَلَامِ الْوَاحِدِ بِالِاعْتِبَارِ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مُشْكِلٌ. فَهَذِهِ الْمَضَايِقُ يَجِبُ الْبَحْثُ عَنْهَا وَالْقَوْمُ مَا دَارُوا حَوْلَهَا».

اعتبر الرّازي أنّ في الآية تفاوتا باعتبار ترتيب الأنبياء فيها، ولا ندري ماذا يقصد بالتفاوت إذ لم يوضّحه. ولعلّ التفاوت، عنده، هو ما اعتبره خطاب الْغَيْبَةِ وخطاب الْحُضُورِ. فالمفروض، في المنطق البشريّ، أن يبدأ بخطاب الحضور. والغريب أنّ الرّازي لم يرَ فرقا بين وصّى ووصّينا وأوحينا، ولا فرقا بين اسمي الموصول ما والّذي.

نأخذ بعض الإضاءات من تفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور: «التَّوْصِيَةُ: الْأَمْرُ بِشَيْءٍ مَعَ تَحْرِيضٍ عَلَى إِيقَاعِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ. وَمَعْنَى كَوْنِهِ شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا: أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ مِثْلُ مَا أَمَرَ بِهِ نُوحًا وَحَضَّهُ عَلَيْهِ. وَالْمُرَادُ: الْمُمَاثَلَةُ فِي أُصُولِ الدِّينِ مِمَّا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ، وَفِي أُصُولِ الشَّرِيعَةِ مِنْ كُلِّيَّاتِ التَّشْرِيعِ، وَأَعْظَمُهَا تَوْحِيدُ اللَّهِ، ثُمَّ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْكُلِّيَّاتِ الْخَمْسِ».

في الآية إيضاحات عديدة. ابتداؤها بذكر نوح منطقيّ؛ لأنّه أوّل نبيّ إلى بني آدم. والتّثنية بمحمّد منطقيّة في ربط الآية بين مبتدأ دين اللّه مع نوح، واختتامه بمحمّد. يكون التّذكير بأبرز أنبياء اللّه بين نوح ومحمّد وهم: إبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى. وورود وَصَّيْنَا هو رفع لكلّ التباس عن مصدر الوصيّة فلو وردت: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّى بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، لحدث التباس شديد فيمن هو الموصي، ولأمكن جعل اسم الموصول ما، هي ما النّافية للجنس. والفرق بين اسمي الموصول في

الآية هو أنّ ما، تحيل إلى الوحي الماضي وقد اندثر، والّذي تشير إلى الوحي الحاضر الجديد. وقد نسب الوحي إلى المُوحَى إليه: إليك.

ولئن كانت الوصيّة هي الأَمْر بِشَيْءٍ مَعَ تَحْرِيض عَلَى إِيقَاعه وَالْعَمَل به، فإنّ الوصيّة الإلهيّة لا تكون إلاّ بوحي إلهيّ شفويّ أو مكتوب. وبدأ بنوح لأنّه لم يُنزّل عليه كتاب، وقد وقع التّوضيح في قوله تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ والنبيئين مِنْ بَعْدِه (١٦٣) النّسَاء. فالوصيّة الإلهيّة وحي.

ولا نجد تماثلا، كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور، بل تقرّ الآية بوحدة الدّين الإلهي من حيث العدد والغرض والوظيفة. ألم تر أنّ كلّ جمل الآية ارتبط بواو العطف الجامعة؟

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) المائدة.

في هذه الآية تذكير ومزيد من التّوضيح بأنّه لا كتاب إلاّ كتاب اللّه ولا حقّ ولا أحكام، أي ولا تشريع، إلاّ ما جاء في القرآن منذ نوح إلى محمّد. فالقرآن ليس من سنّة نبيّ ولا رسول. وليس لأيّ نبيّ ولا لأيّ رسول أن يحكم بغير ما في الكتاب. وأمر اللّه لرسوله واضح جليّ لا يحتاج إلى تأويل بعيد: فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ. فلو كان للرّسول مجال في التّشريع لما نهاه اللّه، بل إنّ التّشريع في الدّين الإلهيّ، وفق الآية السّابقة، هو باطل سواء أكان من الرّسول أو من غيره.

الشّرعة والمنهاج:

ونجد في الآية أمرا جديدا: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا. فما الشّرعة وما المنهاج؟ يحتار المرء عندما يقرأ تفسير اللّفظتين في تاج العروس: «اخْتلفت أَقوال المُفسّرين في تَفْسِير الشِّرْعَة والمنهاج فَقيل: الشِّرْعَةُ: الدِّينُ، والمنهاجُ: الطَّرِيقُ، وَقيل: هما جَمِيعا الطَّرِيق، والمُرادُ بالطَّرِيق هُنَا الدِّينُ، وَلَكِن اللَّفظ إِذا اختلَفَ أُتِيَ بِه بأَلفاظ يُؤَكِّدُ بهَا القصَّةُ والأَمْرُ، وَقَالَ ابنُ عبّاس: شِرْعَةً ومنهاجا: سَبِيلا وسُنَّةً. وَفِي المُفردات عَن ابنِ عبّاس: الشِّرعَةُ: مَا ورَدَ بِه الْقُرْآن، والمنهاجُ: مَا وردَ بِه السُّنَّة. وَقَالَ قَتادَةُ: شِرْعَةً ومنهاجا: الدِّينُ واحِدٌ والشَّرِيعةُ مُختلفة. وَقَالَ الفرَّاءُ فِي قَوْله تَعَالَى: على شَرِيعَةٍ: على دينٍ وملَّةٍ ومنهاجٍ، وكُلُّ ذلكَ يُقَال».

أن يكون للّفظة الواحدة عدّة معان حقيقيّة ومجازيّة، حتّى إنّها تعني الشّيء وضدّه، فهذا من خصائص اللّغات، نجده في العربيّة وفي غيرها. أمّا أن يكون للّفظتين مختلفتي الجذر والصّيغة المعنى نفسه، فهذا لم يقل به لغويّ قديما وحديثا حسب علمنا. فالغريب حقّا أن يقول الفرّاء: على شَرِيعَةٍ: على دينٍ وملّةٍ ومنهاجٍ. والأدهى من ذلك أن يقول ابن عبّاس: شِرْعَةً ومنهاجاً: سَبِيلا وسُنَّةً. لأنّ مصطلح سنّة طارئ في الملّة، إذا اقتبسنا تعبير ابن خلدون.

قال ابن عاشور: «الشِّرْعَةُ وَالشَّرِيعَةُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ مِنْ نَهْرٍ أَوْ وَادٍ. وَسُمِّيَتِ الدِّيَانَةُ شَرِيعَةً عَلَى التَّشْبِيهِ لِأَنَّ فِيهَا شِفَاءَ النُّفُوسِ وَطَهَارَتَهَا. وَالْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ، وَيَصِحُّ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ رَدِيفٌ فِي الْمُشَبَّهِ بِأَنْ تُشَبَّهَ الْعَوَائِدُ الْمُنْتَزَعَةُ مِنَ الشَّرِيعَةِ أَوْ دَلَائِلُ التَّفْرِيعِ عَنِ الشَّرِيعَةِ أَوْ طُرُقُ فَهْمِهَا بِالْمِنْهَاجِ الموصّل إِلَى السَّمَاءِ».

لا ندري لماذا يصرّ بعض اللّغويّين وكلّ المفسّرين على أنّ الشّرعة هي المنهاج.

فلو كان الأمر كذلك لقالت الآية: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً مِنْهَاجًا. أي دون عطف. فواو العطف، هنا، للتّفرقة أي إنّ معنى الجملة هو: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ولِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ مِنْهَاجًا. فالشّرعة ليست المنهاج والمنهاج ليس الشّرعة.

قال الزّبيدي: «النَّهْج: الطَّرِيقُ الواضحُ البَيِّنُ. وَفِي التَّنْزِيل: لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً (المَائدَة: ٤٨) المِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِح. وأَنْهَجَ الأَمْرُ والطَّرِيقُ: وَضَحَ. وأَنْهَجَ: أَوْضَحَ. ونَهَجَ الطَّرِيقَ: سَلَكَه».

في هذا التّفسير، لم يذكر الزّبيدي الشّرعة ولا الشّريعة، فهل يعني ذلك أنّه لا علاقة لغويّة أو معنويّة بين الشّريعة والمنهاج؟

لئن وقع التّفريق بين الشّرعة والمنهاج تفريقا واضحا في الآية، فلأنّها تفسير وتوضيح لقوله تعالى في سورة الفاتحة: اهدنا الصّراط المستقيم. وما الصّراط إلاّ المنهاج. والمنهاج أوسع وأعمّ من الشّريعة. فهو المخطّط أو المشروع المراد تحقيقه. والمشروع الّذي يريد اللّه من كلّ شعب مسلم أن يحقّقه هو الإسلام، انطلاقا من القرآن واعتمادا على ما فيه من التّشريع الإلهيّ لا يتجاوزه إلى تشريع غيره. وتخصيص كلّ شعب بشريعة ومنهاج يعني أنّ المشروع الحضاريّ الّذي يقترحه اللّه تعالى على النّاس هو مشروع حيّ يتناسب مع كلّ شعب في المكان والزّمان، بتجدّد الفقه وليس بتجديد الدّين.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) الشورى. تقرّر الآية أنّ كلّ تشريع من خارج القرآن لم يأذن به اللّه لأنبيائه ورسله ولا لغيرهم. فلا وجود في القرآن لسنّة تشريعيّة للأنبياء.

في غربة الإسلام وإحياء السنّة:

للتّرمذي في سننه روايتان حول الغربة والإحياء:

الأولى: إنَّ الإسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. [١٣]

والثّانية: إنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ إِلَى الحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا. وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنَ الحِجَازِ مَعْقِلَ الأُرْوِيَّةِ مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ. إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي.

إذا اعتبرنا الغربة في مفهومها الأوّل، هو أن يكون الشّخص في غير قومه، أو أن يقع حدث في مجتمع غير معتاد، أو يكون أصل الشّيء مجهولا عند النّاس، فإنّ دين اللّه غريب منذ نوح، وهو اليوم غريب. والإسلام غريب لدى سكّان الأرض من حيث عدد المسلمين ومن حيث إنكار كونه دينا إلهيّا. وفي الرّواية الثّانية، مفهومان غريبان أيضا:

الأوّل: تشبيه الدّين بالحيّة واستعمال فعل أَرَزَ. قال الزّبيدي: «أَرَزَت الحَيَّةُ تَأْرِزُ أَرْزًا: لاذَتْ بجُحْرِها ورَجَعتْ إليه. ومِنْه الحَدِيث: إنَّ الإسلامَ لَيَأْرِزُ إلَى المدينة كَمَا تَأْرِزُ الحيَّةُ إلَى جُحْرِها. وَقَالَ الأَصْمَعِيّ: يَأْرِزُ أَي ينضَمّ ويَجتمِعُ بعضُه إلَى بعض فيهَا. وأَرَزَ الرَّجلُ: يَأْرِزُ أُروزاً انْقبضَ وتجَمَّعَ وثبتَ».

أرزُ الحيّة هو خوفها وهروبها والاختباء في جحرها، وجعل الزّبيدي الدّين كالحيّة: يخاف ويهرب ويختفي في المدينة. هو تشبيه نقص، وقد يحيل إلى الأدب الأخرويّ الّذي يجعل من المدينة المكان الوحيد الّذي لا يدخله المسيح الدجّال.

والثّاني: جعل الحجاز معقل الدّين أي ملجأه وحصنه، وهذا من باب العصبيّة القبليّة والإسلام كونيّ.

وقوله: طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي. يلمّح أنّ الغرباء هم المحدّثون والفقهاء، وهذا من كلام من نصّب نفسه محيي السنّة والدّين. جملة ما أفسد النّاس عامة جدّا؛ لأنّ كلّ شيء يمكن أن يتعرّض إلى الفساد والتّحريف. فحتّى القيم والأخلاق والدّين عرضة لذلك، وليس السنّة وحدها.

وللتّرمذي رواية أخرى: «عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ لِبِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ: اعْلَمْ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ! قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ لَا تُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا». [١٦]

اخترنا هذه الرّواية كأنموذج للنّظر فيها من حيث السّند والمتن.

أوّلا: من حيث السّند: أثبت المحدّثون أنّ كثير بن عبد اللّه بن عمرو بن عوف المزني من أكبر الوضّاعين.

والمشهور والمتّفق عليه أنّ مؤذّن الرّسول هو بلال بن رباح الحبشي، فمن يكون عَمْرو بْنَ عَوْفٍ هذا الّذي خاطبه الرّسول؟ أليس هو جدّ كثير بن عبد اللّه، الرّاوي، كما ورد في نصّ التّرمذي؟

ثانيا: من حيث المتن: تهمّنا هنا صيغة الخطاب. لأنّ مقولة إحياء السنّة وابتداع البدعة تملأ كتب الحديث. من قبيل: مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي. وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ.

تطلّب نزول القرآن أكثر من عشرين عاما، وأكمل اللّه دينه وأتمّ نعمته على المؤمنين قبل شهرين من وفاة الرّسول. فكيف يكون للرّسول سنّة وبأيّ مفهوم اصطلاحيّ للسنّة؟ وإذا لم توجد السنّة، فلن تظهر البدع. فمصطلحا سنّة وبدعة مجهولان في عهد النبوّة. وقول التّرمذي، أو الرّاوي: أُمِيتَتْ بَعْدِي دليل على أنّ السنّة لم يقع اغتيالها في عهد النبوّة، وهو دليل على عدم وجودها. وكيف يمكن إماتة سنّة ولو وجدت؟ إن كان بتركها من أغلب المسلمين، فذلك لأنّها ليست سنّة.

أوهام المحدّثين في السنّة والبدعة:

قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ): «كِتَابُ السُّنَّةِ وَذَمِّ الْبِدَعِ. بَابُ إحياء السنّة ثمّ ظهور البدع: عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الرَّقِّيُّ قَالَ: حَدَّثَتْنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا. قَالَ الْمُصَنِّفُ: هَذَا حَدِيثٌ لا يَصِحُّ وَالْمُتَّهَمُ بِهِ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَضَرَبَ عَلَى حَدِيثِهِ فِي الْمُسْنَدِ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ. وَقَالَ يَحْيَى: لَيْسَ حَدِيثُهُ بِشَيْءٍ وَلا يُكْتَبُ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: هُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْكَذِبِ. وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ: رَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ نُسْخَةً مَوْضُوعَةً لا يَحِلُّ ذِكْرُهَا فِي الْكُتُبِ.

وقال: «عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : لا يَذْهَبُ مِنَ السُّنَّةِ شَيْءٌ حَتَّى يَظْهَرَ مِنَ الْبِدْعَةِ مِثْلُهُ وَتَظْهَرُ الْبِدْعَةُ حَتَّى يَنْشَأَ فِي الْبِدْعَةِ مَنْ لا يَعْرِفُ السُّنَّةَ فَإِذَا رَأَى السُّنَّةَ قَالَ هَذَا بِدْعَةٌ فَمَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. قَالَ الْمُصَنِّفُ: هَذَا حَدِيثٌ لا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ ابْنُ حَبَّانَ: كَادِحٌ يَرْوِي عَنِ الثِّقَاتِ الْمَقْلُوبَاتِ فَلْيَسْتَحِقَّ التَّرْكَ.

نكتفي بهذا كأدلّة على أنّه لا يثبت

الكثير عن الرّسول في السنّة والبدعة؛ فلا اللّحية سنّة ولا اللّباس سنّة ولا كيفيّة الأكل والشّرب سنن. ببساطة، ليس التشكّل المظهريّ الّذي يتشبّث به بعض النّاس ويريدون فرضه، من السنّة النبويّة في شيء. وأمّا البدع، فإنّها كلّ جديد يظهر في المجتمع، وكلّ ما خالف التآزم النّفسي والتحجّر الفكريّ.

وقد تبيّن من القرآن أنّ التّشريع في الإسلام من خصائص اللّه تعالى، ولم يسمح به إلى أنبيائه ورسله. وقد عرض علينا القرآن مثلين واقعيين من التّحريم؛ حدث الأوّل من قبل يعقوب والثّاني من محمّد. وكان التّحريمان أمرين شخصيّين لم يتجاوزا شخصي النبيّين. ورغم ذلك، قال اللّه تعالى: لمَ تحرّم ما أحلّ اللّه لك؟

فدور النبيّ والرّسول هو أوّلا وأخيرا التّبليغ. ومن مستلزمات التّبليغ التّوضيح والتّبيين؛ وذلك يكون بتطبيق النبيّ جهرا ما أوحي إليه من أحكام اللّه وأوامره ونواهيه كي تتجسّد بالفعل والقول، فيراها المسلمون ويطبّقونها كما رأوها وكما سمعوها من نبيّهم أو رسولهم. وهذا المبدأ ليس منغلقا؛ لأنّ الرّسل والأنبياء ليسوا مجرّد أداة تنفيذ، بل لهم اجتهاداتهم الخاصّة في الدّعوة. فإذا اجتهد الرّسول وأخطأ عاتبه اللّه ومُحِيَ ذلك الاجتهاد. وإذا اجتهد وأصاب سكت الكتاب المنزّل إليه، وصار اجتهاد الرّسول تشريعا إلهيّا.

وهذا التّشريع الإلهيّ باجتهاد الرّسول هو ما يعرفه المسلمون بالضّرورة. فمثلا، لا خلاف أنّ الصّلوات اليوميّة خمس، وأنّ أوقاتها معلومة وأنّ كيفيّة أدائها معلومة، رغم أنّه لم يرد شيء في القرآن في ذلك؛ فالقرآن يمحو السنّة التشريعيّة.

ومن أكبر المقولات التحريفيّة القول إنّ القرآن إلى السنّة أحوج من السنّة إلى القرآن. قال محمّد ناصرالدّين الألباني (ت١٩٩٩م): «القرآن إلى السنّة أحوج من السنّة إلى القرآن. نعم، وهذا القول مأثور عن مكحول الشّامي رحمه اللّه، وأيضًا مشهور عن الأئمّة. قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد اللّه، يعني: أحمد بن حنبل وسُئل عن الحديث الذي روي أنّ السنّة قاضية على الكتاب، فقال: ما أجْسَرُ على هذا أن أقوله، إنّ السنّة قاضية على الكتاب. إنّ السنّة تفسّر الكتاب وتبيّنه، ذكره ابن عبد البرّ».

هذا كلام يلزم مكحولا وابن عبد البرّ ومن صدّقهما في ادّعائهما، إن قالا ذلك، ولا يلزم المسلمين بأيّ وجه. فالمقولة تعتبر القرآن مستعصيا على الفهم والتدبّر، بينما قال اللّه تعالى: كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) فُصّلت. وقال: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) الشّعراء. وإمّا أنّ القرآن ناقص تكمله السنّة. ورغم أنّ صاحب هذا الكلام، حنبليّ، فإنّه لم يلتفت إلى قول ابن حنبل: ما أجْسَرُ على هذا أن أقوله، إنّ السنّة قاضية على الكتاب. ولطف في القول فاعتبر أنّ السنّة تقتصر على تفسير الكتاب وتبيينه.

وربّما ينطبق قول الضّحّاك بن مزاحم (ت١٠٧هـ): «يأتي على النّاس زمان يكثر فيه الأحاديث حتّى يبقى المصحف بغباره لا ينْظَر فيه» على هذا النّسق من التّفكير والنّظر.

وإذا كان بنو إسرائيل ضلّوا بكتب ورثوها عن آبائهم، كما قال محمّد بن سيرين (ت ١١٠هـ).

فإنّنا نلاحظ أنّه يقع استعمال مصطلح السنّة عامًا، فلا أحد يدري معناه الاصطلاحيّ بالضّبط. فهو متوارث عن الآباء بالتّسليم، فلا يجوز فيه إلاّ القبول والتّعليم، ولكن إذا كان اللّه تعالى اختصّ بالتّحليل والتّحريم والنّهي والاجتناب، ولم يرخّص في ذلك لرسله وأنبيائه، فبأيّ وجه ينتصب فقيه أو محدّث قاضيا ومفتيا يشرّع ما لم يشرّعه اللّه؟

ولكن هل هذا النّقد يعني أنّه لا توجد سنّة نبويّة في المطلق؟

هنا وجب التّفريق بين سنّة تشريعيّة وغير تشريعيّة. للرّسول سنّة بل سنن، وكلّ إنسان لديه سنن وعادات وطرائق في حياته. وإذا كان محور القرآن هو اللّه تعالى، إذ كلّ حدث فيه وكلّ خبر وكلّ حكم ينطلق من اللّه ويعود إليه في دورات لولبيّة دقيقة ومنتظمة، فلا غرابة أن تكون سيرة الأنبياء والرّسل في القرآن أبرز المحاور في النصّ القرآنيّ. أليسوا الواسطة بين اللّه وعباده؟ وقد خصّ اللّه بعض أنبيائه ورسله بما شاء أن يختصّوا به. فقد اتّخذ أحدهم خليلا وآخر كليمًا، وميّز ثالثا بانفراده في كيفيّة خلقه. فهل خصّ اللّه تعالى رسوله محمّدا بما لم يخصّ به نبيّا آخر؟ تكون الإجابة عن هذا السّؤال هي المبيّنة لأبرز سنن الرّسول في القرآن.

قال تعالى: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) القلم.

لا ندري هل خاطب اللّه تعالى غير الرّسول من أنبيائه ورسله بمثل هذا الخطاب المليء لطفا ورحمة وعناية. ولئن وردت الآية الأولى في صيغة القسم، فليست قسما، وإنّما للفت الانتباه إلى أهميّة ما سيذكره اللّه بعدها. وما بعدها هو إخبار وصفيّ للرّسول، وهي أوّل آية في القرآن بدئت بحرف، ولا ندري العلاقة بين «نون» والقلم، والمهمّ هو أنّ الآية الأولى توطئة لوصف الرّسول.

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ: جاءت بعد نفي

الجنون عن الرّسول. وفي هذا تنزيه مطلق من اللّه تعالى لعقل رسوله. وعقل الرّسول هو أكبر العقول وأكملها وأرجحها، فتكون الآية النتيجة الحتميّة لذلك العقل. فللّرسول سنّتان: العقل وهي سنّة فطريّة وضعها اللّه فيه، وسنّة مكتسبة وهي الخلق. وقد اعترف الرّسول في قوله: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي» بفضل اللّه ومنّه، وتواضع حقيقيّ إيجابيّ. ومن أغرب ما يلاحظ أنّ هذا الحديث لم يذكره أئمّة الحديث وأنكروه.[٢٣]

ويروى عن عائشة بعد أن سئلت عن خلق النبيّ: «حَدِّثِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ . قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ اللَّهُ: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. خُلُقُ مُحَمَّدٍ الْقُرْآنَ».

وصف اللّه تعالى خلق النبيّ وصفا مؤكّدا بأنّه عظيم. ويعتبر هذا استعظاما. لم يستعظم اللّه شخص النبيّ واستعظم خُلقه. ولا يستعظم اللّه شيئا إلاّ لأنّه أعظم الأشياء في تقديره أو من أعظمها. ولم يستعظم اللّه في القرآن خلق أيّ نبيّ آخر؛ فهي ميزة خاصّة بالرّسول محمّد. وعجبا لقوم يؤكّد اللّه عظمة خلق رسولهم وهم ينكرون حديثا يدلّ على نفس الشّيء ويستنكرونه!

وفي رواية: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَنِي وَأَحْسَنَ أَدَبِي ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ».

هو الاعتراف بفضل اللّه وهو التواضع الإيجابيّ، وهو الدّليل على خلقه العظيم. ورغم ذلك، فإنّ من العلماء المحدّثين من اعتبره موضوعا: «حَدِيث: أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي: سنده ضعيف جدًا. وأخرجه أبو سعد ابن السّمعاني في أدب الإملاء بسند منقطع. وبالجملة، فهو كما قال ابن تيميّة: لا يعرف له إسناد ثابت».

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) التوبة. ضمير الخطاب في الآية لا يخصّ قريشا ولا العرب أجمعين. الخطاب موجّه إلى كلّ بني آدم.

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ: يعزّ عليه ما تأتونه وما يصيبكم من العنت. والعنت اسم جامع يشمل: «الفَسَاد والإثْم والهَلاَك والغَلَط والخَطَأ والجَوْر والأَذَى والمَشَقَّة الشَّدِيدَة والوُقُوعُ في أَمْر شَاقّ». قالَ الأَزْهَرِيُّ في قَوْله تَعَالَى: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ. «أَي عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ، وَهُوَ لِقَاءُ الشِّدَّة والمَشَقَّة وَقَالَ بعضُهم: مَعْنَاه: عزيزٌ أَي شديدٌ مَا أَعْنَتَكُمْ، أَي مَا أَورَدَكُم العَنَتَ والمَشَقَّةَ».

هل بعد هذا دليل على إنسانيّة محمّد الشّاملة؟ هو يتألّم ويحزن لكلّ ما يصيب الإنسانيّة من كوارث وجوائح ومجاعات. وكم تمنّى أن تؤمن الإنسانيّة لتجنّب نفسها عذاب الآخرة.

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ: هنا يقع تخصيص المؤمنين. والرّسول يتألّم ويحزن إذا ما أورد مؤمن نفسه الهلاك في الدّنيا وخاصّة في الآخرة. وفي هذه الجملة، جمع اللّه للرّسول الرّأفة والرّحمة من علامات إنسانيّته وخلقه. ولقد ذكر اللّه في القرآن لكلّ نبيّ أخلاقا إلاّ أنّه لم يجمع الرّأفة والرّحمة لأيّ نبيّ غير الرّسول.

وتكملة لما اعتبرناه سنن النبيّ، نكتفي بذكر الآيات الّتي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بخلق الرّسول:

- في (آل عمران: ١٥٩): اللّين في المعاملة ونفي الفظاظة والقسوة.

في (الأحزاب: ٢١): الأسوة الحسنة

في (الأحزاب: ٥٣): الحياء.

لماذا اعتبرنا خلق الرّسول سننه؟

في القرآن مقابلة تامّة بين محمّد النبيّ الرّسول، وبين محمّد البشر الإنسان. ففي خصوص الرّسالة، فإنّ محمّدا النبيّ الرّسول مغيّب تماما لا نجد له دورا إلاّ في تبليغ رسالة ربّه وتبيينها وتوضيحها عمليّا وتطبيقيّا.

ولقد جعل القرآن للنبيّ الرّسول خطوطا حمراء، هي حدود اللّه، وحذّره من تجاوزها بل من الاقتراب منها: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) البقرة. لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢٧٢) البقرة. إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ (٥٦) القصص. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٦) المنافقون. فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ (٢٠) آل عمران. فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢) المائدة. مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ (٩٩) المائدة. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢) النّحل.

كثرة الآيات الّتي لا يتغيّر مضمونها المحدّد لدور الرّسول في تبليغ الرّسالة تنفي أن يكون له أيّ دور في التّشريع، وقد نهر اللّه رسوله؛ لأنّه حرّم على نفسه ما أحلّ له اللّه، فكيف يجوز له أن يشرّع للمسلمين؟

وقد رأينا أنّ الرّسول ومعه المقاتلون في سبيل اللّه مغيّبون أيضا، بل إنّ محمّدا الزّوج غُيّب في حلّ مشاكله العائليّة، سواء كانت لأمر يخصّ النبوّة أو غيره.

مقابل ذلك التّغييب في شأن الرّسالة، فإنّنا نجد حضورا متميّزا مشعّا لمحمّد الإنسان؛ فقد جمع له القرآن كلّ الفضائل وأسمى القيم الأخلاقيّة الإنسانيّة، وهو ما لا نجده لغير محمّد في القرآن. وهذه المقابلة الّتي تبدو غريبة، هي من حكمة اللّه وعدله ورحمته بعباده. فقد شرع لهم من الدّين أيسره لا حرج فيه. وعرض عليهم الإسلام مشروعا حضاريّا هو أحسن المناهج. وأراد اللّه أن يعرض على عباده

أنموذجا فريدا هو واحد منهم لا يميّزه عنهم أيّ شيء إلاّ في أمرين: العقل والخلق.

فلا عجب أن يختم اللّه وحيه إلى محمّد في آخر أيّام حياته بالآية الشاملة الجامعة: الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (٣) المائدة.

لم تنزل هذه الآية على أيّ نبي رسول من قبل، وإكمال الدّين لا يعني أبدا أنّ دين اللّه كان ناقصا في زمن نبيّ من الأنبياء منذ نوح. فكلّ نبيّ وكلّ رسول بعث قبل محمّد، إنّما بعث لقومه في محيط جغرافيّ محدّد ينشر فيه رسالته. ودور النبيّ ودور الرّسول منحصر في المكان والزّمان والفضاء. لم يكن الدّين في الإسلام، في يوم من الأيّام، غير كاف للمسلمين. لأنّ الدّين في كلّ وقت هو عبارة عن المقدار الذي شرعه اللّه للمسلمين. فالثّابت في الدّين الإلهيّ، منذ أوّل نبيّ على الأرض إلى محمّد، هو الإيمان بالغيب المطلق أي باللّه إلها واحدا لا شريك له، والإيمان بالقيامة والحساب والجنّة والنّار. وأمّا الشّعائر الدينيّة فمنها ما هو دائم كالصّلاة والصّوم، ومنها ما هو حديث كالحجّ والقتال في سبيل اللّه. كذلك يتغيّر التّحليل والتّحريم بما يصلح للمجموعة المسلمة في مكان وزمان.

كان دين اللّه كاملا مناسبا لكلّ قوم في الزّمان والمكان في فرائضه وأحكامه، وإنّما كان الإسلام ناقصا تنقصه تلك اللّبنة. ولختم الوحي وانتهاء الرّسالة أبديّا، أكمل اللّه دينه بالتّشريع المناسب لكلّ بني آدم إلى يوم القيامة. وأكمل محمّد خاتم الأنبياء مكارم الأخلاق. وبذلك، صار الانسجام كليّا بين الدّين كتشريع، وبين الإسلام كمشروع حضاريّ متجدّد.

السّبب الثّالث: الكنز الفريد في تراث الإنسانيّة:

لقد اجتهد الكثيرون في جمع ذلك الكنز فسمّاه بعضهم فضائل النبيّ وغيره دلائل النبوّة وآخرون الشّمائل المحمّديّة أو رياض الصّالحين أو التّرغيب والتّرهيب. ولقد خصّص أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) في إحياء علوم الدّين فصلا في بيان جملة من محاسن أخلاقه الّتي جمعها من بعض العلماء والتقطها من الأخبار.

وتكملة لما اعتُبر من الصّفات والشّمائل الفريدة، نكتفي بذكر أربع صفات أخرى لها علاقة مباشرة بخلق الرّسول، ونجاحه بين النّاس، رغم كثرتها التي لا تُحصى:

الأولى: هي اللّين في المعاملة ونفي الفظاظة والقسوة، قال تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) آل عمران.

الثّانية: الأسوة الحسنة. قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) الأحزاب.

الثّالثة: زهده في الدّنيا، وهي قناعة مبدئيّة وشخصيّة لديه، لم يبن قصرا ولا منزلا خاصّا به ولم يلبس الحرير، ولم يتحلّ بالذّهب والجواهر، وكان قادرا على ذلك، ولكنّه لم يحرّم كلّ ذلك على المسلمين. وكان يكتفي من الأكل بأقلّه يسدّ به الرّمق. وقناعته تلك بالقليل الضروريّ في الحياة كانت أحد أبرز الأسباب التي ميّزت حياته العائليّة بالبساطة والتوكّل والاعتدال.

الرّابعة: غضبه، يغضب للّه إلى أن تحمرّ وجنتاه وتظهر حدّة غير معهودة في كلامه، ولكنّه لم يغضب لنفسه أبدا. لم ينتقم لنفسه مهما كان السّبب، وكان العفو منهجه مع النّاس جميعا.

خاتمة البحث:

عرض البحث مشكلة فهم مصطلح السنّة الذي يبدو أنّه لم يكن موجودا قبل زمن الشّافعي (ت٢٠٤هـ) الذي أسّس أصول الفقه، وبالتّالي القول بمصادر التّشريع من قرآن وسنّة وقياس، ثمّ شاع عند المسلمين بالتّبعية والتّقليد.

ومحلّ الاجتهاد والتّمحيص في هذا البحث هو اعتبار أنّ الأنبياء ليست لهم سنّة تتعلّق بالتّشريع أو التّحليل والتّحريم، بل يقتصر دورهم على البلاغ المبين. وهذا واضح في قوله تعالى: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩) المائدة. وفي آيات أخرى مثل: فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥) النّحل أو: قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) يس.

فكأنّ هذا الحصر والتّركيز على البلاغ المبين، يلغي الحقّ في الإضافة إلى الدّين أو التّشريع باسم اللّه. أمّا التّشريعات الاجتماعيّة والسياسيّة وغيرها، فهي ليست محلّ إشكال أو نظر.

عرض البحث مفهوم السنّة عند بعض علماء الإسلام ولاحظ اختلافا كبيرا في تعريفاتهم وتنظيراتهم للموضوع، وطرح سؤالا يتعلّق بوظيفة الأنبياء جميعا، وهو: هل شرّع أحد منهم شيئا في الدّين الإلهي؟ واخترنا نموذجا هو يعقوب بن إبراهيم عليهما السّلام، باعتباره يُستدعى شاهدا على دور الأنبياء في التّشريع والتّحليل والتّحريم، وبيّنا خطأ ذلك الفهم. واستعرضنا ما جاء في القرآن حول ذلك. وعالجنا موضوع الشّرعة والمنهاج وبيان الفرق بينهما واخترنا أمثلة تبيّن أوهام المحدّثين في فهم السنّة والبدعة، وبيّنا في ختام البحث لماذا اعتبرنا أخلاق النبيّ وأفعاله هي سننه.

تصحيح المفاهيم

ماذا يعني مقتل «الظواهرى»؟

حسين القاضي

باحث وكاتب صحفي

ظلت أمريكا أكثر من عشرين عاماً تطارد أيمن الظواهرى، زعيم تنظيم القاعدة، حتى تمكنت من قتله بغارة نفذتها طائرة بدون طيار فى «كابول»، بعد أن توقع بعض الباحثين أن قضية الإرهاب لم تعد تحظى بأهمية كبرى لأمريكا بعد انسحابها من أفغانستان، ثم الحرب الروسية - الأوكرانية، وجاءت العملية فى توقيت ذى مغزى، قبل احتفال «طالبان» بمرور سنة على الحكم، بما يعنى أن انسحابها من أفغانستان لا يعنى تخليها عن مواجهة الإرهاب المعولم.

«الظواهرى» هو صاحب الدور التاريخى فى بلورة تنظيم القاعدة، وعلى يديه وقعت العمليات الإرهابية الكبرى، ومقتله تترتب عليه آثار محتملة منها:

تآكل طبقة المنظرين والشخصيات الملهمة فى وجدان الشباب الجهادى، ولم يبق إلا القليل، وهذا لا يعنى التضخيم من غياب «الظواهرى»، لأنه ما كان له فى السنوات الأخيرة إلا الرمزية، فلم يعالج انشقاقات التنظيم، وفشل فى صراعه مع «داعش»، وانشقاق فرعى سوريا والعراق، وتصاعد خلافات التنظيم فى اليمن، وانشغاله أخيراً بمسائل فرعية مثل الفتاة التى تعرضت لخلع حجابها.

أتصور أن يلجأ التنظيم إلى الإرهاب المستقل، أو الانفرادى، أو الإرهاب دون قيادة، أو الذئاب المنفردة؛ رداً على مقتله، على أن البعض يخلطون بين الذئاب المنفردة والإرهاب الفردى، مع أن الأول يقوم به فرد أو مجموعة دون ارتباط بتنظيم، والثانى يكون مرتبطاً بتنظيم. وفكرة «جهاد الإرهاب الفردى» أسس لها تنظيم القاعدة من خلال كتاب (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)، وهو كتاب يمثل مرجعية لـ«القاعدة»، ومؤلفه أبومصعب السورى، ويعزز من هذا الاحتمال: نجاح «القاعدة» فى تنفيذ مثل هذه العمليات، وافتقار الهياكل الأمنية الأمريكية (وغير الأمريكية) فى مواجهة هذا النوع من العمليات الإرهابية التى يتميز بها «القاعدة»، حيث لا يوجد حتى الآن -وفق بعض الدراسات- وكالة رئيسية متخصصة فى أمريكا منوط بها مجابهة هذا النوع من الإرهاب المستقل، فضلاً عن وجود قيود قانونية كبيرة بحجة عدم الحد من حرية الأفراد.

وجود «الظواهرى» فى «كابول» تحت حماية «شبكة حقانى»، وهى شبكة حليفة لـ«طالبان»، يؤكد أن «طالبان» ما زالت تتقاطع من التنظيمات الإرهابية، مما يترتب عليه -مع عوامل أخرى- تأخر الاعتراف الدولى بها، خاصة أن أمريكا اتهمت «طالبان» بخرق اتفاق الدوحة وإيواء الإرهابيين، وتفسيرنا لاحتمالية هذا التقارب بين «طالبان» و«القاعدة» راجع لمحاولة «طالبان» توظيف «القاعدة» ضد تنظيم داعش، المتمثل فى (ولاية خراسان فى أفغانستان)، الذى يمثل أكبر تهديد لـ«طالبان»، وتنظر «القاعدة» إلى «داعش خراسان» على أنه عدو.

احتمال ضلوع «طالبان» فى الاغتيال -حال ثبوته- سيلقى بظلاله على العلاقة بين «القاعدة» و«طالبان»، فقد تنتهزها «طالبان» فرصة للتخلص من «القاعدة»؛ سعياً منها للحصول على الاعتراف الدولى، وإلغاء تجميد الأموال الأفغانية، وهنا تدخل العلاقة بين الطرفين فى مسار صدامى عنيف بعد ٣٠ سنة من التوافق والتقاطع.

أبرز محطات التحول بعد اغتيال «الظواهرى» ستتحدد وفق طبيعة القائد الذى سيخلف «الظواهرى»، ومن خلاله تتحدد طبيعة النشاط المسلح للتنظيم وخريطة الانتشار، فالتوقعات تشير إلى وجود خمس قيادات مرشحة، كل قيادة يُقرأ من خلالها مستقبل «القاعدة» بشكل مختلف، على رأسهم «سيف العدل»، الذى أنشأ أفرع التنظيم فى أفريقيا، ويحظى بدعم إيران، وفى حالة توليه سيكون السؤال المهم متعلقاً بمدى إسهامات إيران فى توجيه بوصلة التنظيم فى المستقبل؟